كريم في عالم العجائب

للفتيان
والفتيات

الإعاقة
ليستْ
نهايَة

رواية
واقعية
ممزوجة
بالخيال

د. طارق البكري

للفتيان والفتيات
رواية واقعية ممزوجة بالخيال

كريم في عالم العجائب

الإعاقة ليستْ نهايَة..

د. طارق البكري

الإهداء

إلى صديقي الفنان كريم النجار..
يوم لقائكَ كانَ يومًا ذهبيًّا مشرقًا..
ولا يزال..
مثل ريشتكَ المتوهجة...
طارق

المشهد الأول
البابُ العنيد

في بيتٍ جميلٍ واسع يُعانقُ الأفقَ بقرميدِه الأزرق السَّماوي..

وفي بلدةٍ صغيرة تحبُّ المرح، نشـــأ كريم، يراقبُ أقرانـــه الصِّغار يلعبونَ ويمرحون، ويتمنَّى مشـــاركتهم الركض والمرح.. وأنْ يطيرَ مثل العصافير، أو يقفز مثلَ كرة مطاطية.. وكلَّما كبر كبرتْ أحلامُه وأمانيه.. غير أنَّ كرســـيَّه لم يكنْ يكبرُ معه.. كانَ يشـــعرُ بأنَّ جسدَه سجنٌ صغير لقلبِه الكبير وعقله الواسع، وأنَّ مفتاحَ هذا السِّجن محفوظٌ في مكانٍ ما داخل كيانه.. فهو مولعٌ بالخيال والاكتشاف والفوضى، كما يعشقُ صنعَ المقالبِ والمواقف الفكاهية.

ففي مرَّة وضعَ أفعى مطاطيةً في حقيبةِ مدرِّسه، غضبَ المدرِّس غير أنَّه في النِّهاية عدَّها ممازحةً بسيطة وسامَحَه. وفي مرَّة أخرى أقنعَ أخته الكبيرة بأنَّ عصيرَ البرتقال في الثلاجة تحوَّل إلى إكسيرٍ سحري للرشاقة الدائمة. وفي يوم

وضعَ ملعقةَ خلٍّ في فنجان قهوة أُمِّه المفضَّلة.. ومرَّة خبَّأ ضفدعًا وثَّابًا في صحيفة أبيه الصَّباحية.. كانت مقالبُه طريقته الخاصَّة لإثباتِ وجودِه وقدراته، وقليل مَن نجا مِنها.

وعلى مقدارِ ميلهِ للفكاهة والمرَح؛ كانَ شغوفًا بالرسم والتعبيرِ عن مكنونات نفسه.. بالريشة والألوان يرسمُ أشكالًا وخطوطًا تُخرجه من عالمِه المحدود إلى العالم الكبير الذي يحبه. لم يكـــــنْ يعتقدُ في طفولته الأولى أنَّه يمكن أنْ يصبح كاتبًا أو رسامًا، لكن القلم والريشة كانا طريقَه الواسع للتعبير عنْ نفسه.

كان طفلًا عاديًّا مثل كل الأطفال.. لكن! فجأة أصابه مرض غريبٌ، أفقدَه قدرته على السَّـــــير.. أضعفَ حركةَ يديْهِ الاثنتين، فتغيرتْ أحواله، وتشنجت حياتُه وحياةُ كل الناس من حوله، لم يعد قادرًا على أنْ يعيشَ طفولته كما يعيشها الأطفال الآخرون.. لا يستطيع سوى البقاء سجينًا على كرسيِّه المتحرك لكنه قرَّر صنعَ المستحيل.

عشقَ الريشةَ والرســـــم والألوان بالصُّدفةِ وليس عن تخطيط مسبق؛ كما عشـــــقَ القلمَ وكتابة القصص.. صار يعلِّم نفسه، أخذتْه الموهبة إلى عالمٍ سحريٍّ فريد، عالم من الدَّهشةِ والسَّعادة، نشأتْ بينَه وبينَ الريشةِ والألوانِ والكتبِ والأقلام علاقة مميزة.. كانت قدرةُ أنامله على رسمِ الأشياءِ منْ حوله تذهلُه، ثمَّ رسمَ خواطرَه لينقلها منْ عالمِ الخيالِ إلى عالمِ الواقع.

كانتْ عائلته تســـــكنُ في بيتٍ كبيرٍ مع جدّه الذي كانَ يقضي معظمَ وقتِه في مكتبتهِ الخاصَّة، بين الكتبِ والأوراقِ وســـــماع الموسيقا الهادئة.. وكما هو الجدُّ كانَ الحفيدُ عاشقًا للمكتبة، فهناك، بينَ رفوفِ الكتب، كانَ كرسيه يختفي، ويصبحُ مجرَّد قارئ ومُسْتكشف.. يدخلُ المكتبة كلَّما سنحتْ له الفرصة.

جدُّه يعدها مكتبةً خاصَّة جدًّا، وليســـــتْ عامَّة، يقضي فيها معظمَ ساعات النَّهار برفقةِ قطته الجميلة«ميسو»، كما يحبُّ مناداتها.. لم يكنْ لدى جدّه ما يُشغله غير القِراءة، والقطة«ميسو» طبعًا.. يجلسُ في مقعدِه الهزَّاز، يضعُ نظارته السَّميكة على عينيه، يحملُ كتابًا، ويحتسي فنجانَ شاي بالزَّنجبيل.. كان عالمُه كاملًا بين رفوف المكتبة، ليسَ الآن فقط، بل هو كذلك منذ يفاعته.

وفي يومٍ قالَ لكريم: "مكتبتي متخمةٌ بالكنوز والأسْـــــرار، أكثر منْ قبعةِ ساحرٍ عجوز".

ضحكَ كريـــــم وقالَ: "أريدُ كتابًا سِـــــحريًّا يعلِّمني كيفَ أمشي وأهرولُ وأصعدُ وأنزل..".

نظر إليه جدُّه بنظرةٍ حانيَة ملأى بألم خفي وقال: "يا ليتها أمنية تتحقق".

أجابه: "على الأقل، لو يوجدُ كتابٌ يعلِّمني كيفَ أدرِّبُ«ميسو» على القفزِ العالي وكرة القدم، وكيف أخترعُ عصا تحلِّق بي، وكيـــــف أحفظُ دروسي وأنجحُ في امتحاناتي دونَ أنْ أرهقَ نفسي بالدرس".

كانَ جدُّه يقهقه كلما سمِع أمنياته.. لكنَّ كريم لم يكنْ يرى نفسه مضحكًا، فهو يعتقدُ أنَّ طرائفه، وإنْ كانت مضحكة أحيانًا، فإنَّها في معظمِ الأحيان لا تضحكُ أبدًا، أمَّا تلكَ الأمنيات فهي جادَّة تمامًا بالنسبةِ إليه، وليستْ مجرَّد أضحوكة.

وفي يـــــوم ألقى خطبةً وطنية أمامَ طلاب صفِّه، لكنَّها لم تعجبهم، فشـــــعرَ بالإحباط، وأضحى ذلك الإحباط مألوفًا لديـــــه، يطاردُه كلما فكَّر في أن يثبتَ نفسَه بعيدًا عنِ الفكاهة، فعزمَ على فعل ما يدهشهم.. لكنه لم يستطعْ في البداية إيجادَ دربٍ معبَّد لتسير عليه عجلاتُ كرسيِّه بسهولة، ولم يكن أمامه غير مكتبةِ جدِّه لتكون جسرًا يعبر من خلاله نحو نفسِه ونحو الآخرين.. كان يعرفُ أنَّ المكتبة عالمٌ واسع من المعرفةِ والخيال والإبداع، لكنْ كيفَ ينقِّب فيها وجدُّه لا يسمح لأحد بالعبث بمحتوياتها؟!

ألحَّ على جدِّه ليأذنَ له باستكشاف أســـــرارها، لعلَّه يجدُ شيئًا يحقِّقُ بعض أمنياته، وفي أوَّل الأمر لم يوافقِ الجدُّ، وأخبره أنَّ المكتبة ترحبُ به ما دام هو فيها، فهو لا يرغبُ في أنْ يدخلها أحدٌ وهو غير موجود، لكنَّه، وأمامَ إلحاحِ كريم، ورؤية الشغف الحقيقي في عينيه، رضخَ جده في النهاية، فهو حفيدُه الأصغر، والأحبُّ إلى قلبه، لكنه اشترط عليه أنْ يبقى الأمر سرًّا بينهما، وأنْ يحافظَ على ترتيبِ المكتبة ونظافتها، وأنْ يعيدَ كلَّ كتابٍ يقرأه إلى مكانِه المناسب سليمًا كما أخذه.. ووعدَه بأنْ يتركَ بابَ المكتبةِ مفتوحًا في المسَاء بعدما يذهبُ إلى غرفتِه لينام، ونصحه بقوله: "اقرأ ما ينفعُ، ولا تجعلِ المعرفةَ وسيلةً للخطأ، وتذكَّر أنَّ الفضولَ يفتحُ المِخاخ، والحذرَ ينجي من الفِخاخ".

ثمَّ أضافَ بنبرةٍ جادَّة غير حادة، لكنَّها ملأى بالحنان والحبِّ والعطف: "بعضُ الأبواب، يا كريم، تُفتح مرَّةً واحدة فقط.. فاخترْ بعناية أيُّها تطرق".

التفتَ كريم نحوَ رفوف المكتبة وتمتمَ بينه وبين نفسه: "لماذا يصرُّ الجميعُ على أنْ يروني ضعيفًا؟ ألنْ أفعلَ شيئًا يستحقُّ التصفيق إلا إذا كان نكتة؟ أتمنَّى لو أجدُ ضوءًا يريني مَنْ أنا حقًّا لا كما يزعمونَ عني".

وفي المساء، فيما كانَ الجدُّ يغطُّ في نومٍ عميق بجوار مروحةٍ تصدر صوتًا يشبه غَمغمةَ أسدٍ عجوز، تسللَ كريم إلى المكتبة وشرَع يفتحُ الأدراجَ ويعبثُ بمحتويات الرفوف، متجاهلًا نصائح جدِّه وشروطه، غارقًا في حماسِ الاسْتكشاف..

همسَ ضاحكًا: "إذا وجدتُ كنزًا سأشـــــتري قَدمين منْ فولاذ وحذاءً رياضيًّا يجعلني أركضُ بسرعةٍ وأحقق أرقامًا قياسيَّة وفوزًا ساحقًا في سباقات الجري، أو أشتري كرسيًّا طائرًا، وأصنعُ نفقًا من زجاجٍ تحتَ الماء، وأدعو أصدقائي إلى رحلةٍ ميدانية لاكتشافِ أعماق البحار".

في أوَّل الأمر أعجبته صورٌ ولوحات كثيرة كانَ جـــــدُّه يخفيها في الأدراج، ثمَّ اكتشفَ كتبًا تعلِّمُ الرسمَ دون معلم، فبرقتْ في رأسِه فكرة الرَّسم، وبدأ رسمَ اللوحاتِ والصُّور بشكلٍ بسيط فأعجبته التجربة، ومع مرورِ الأيام أغرقَ نفسَه بالكتابةِ والرَّسمِ والألوان وحوَّل غرفته إلى ما يشبه مرسمًا عالميًّا..

صارَ يرسمُ ويكتبُ كلَّ ما في داخلِه بإحساس صادقٍ ناطقٍ، لكنَّه أخفى هوايته وموهبته المُستَجدَّة حتَّى يتمكَّنَ منها ويتقنها جيّدًا، ثمَّ يكشف عنها لاحقًا لأصدقائه، خشـــيةَ تعرضه للتنمر والانتقاد ما لم تكنْ رسومه وقصصه كما يتمنَّى ويرجو، وظلَّ في كلِّ مساء يدخلُ مكتبة جدِّه ليقضي فيها أوقاتًا ماتعة في عالم منَ الخيال والأحلام.

وفي يوم، فيما هو يتنقلُ منْ حلمٍ إلى حلمٍ ومن رفٍّ إلى رفٍّ؛ لمَحَ كوَّةً زجاجية صغيرة مغطاة بغبارٍ كثيفٍ، يتسللُ منها ضوءٌ خافت، اقتربَ ومسحَ الغبار، فإذا بالكوَّة تنفتحُ على فضاء لامع، مع هَمْهَمَةٍ مبهمة تأتي من بعيد.. وسمع صوتًا هامسًا: "هنا لن يقيّدك كرسيٌّ، ولنْ تعوقك إعاقة.. اقفزْ لتكتشف«عالمَ العجائب» وجرِّب المغامرات المثيرة والأحلام السعيدة".

تردَّد قليلًا، ظنَّ أنَّه يتوهمُ فيما هو يشعرُ بالنعاس.. فكَّر في أنْ يحاولَ القفزَ من كرسيِّه لمجرد اللهو، لكنَّه خشيَ أنْ يقعَ أرضًا ويكسر ضلعًا من أضلعه.. تغلَّب على رعونته وعـــاد يتجوَّل في أنحاء المكتبة.. متذكرًا كلمات جدِّه ونصائحه.. لكنَّ الهمسَ ظلَّ يطارده، كنداءٍ مغناطيسي لا يُقاوم..

جذبته زاويةٌ معتمة.. أدارَ عجلات كرسيِّه المتحرك نحوها.. اقتربَ منها ببطء.. لمحَ بابًا خشبيًّا صغيرًا، لا يتجاوز طوله وعرضه مترًا مربعًا، عليه نقوشٌ غريبة ورسوم فريدة، وفي أســـفله مقبضٌ نحاسيٌّ برَّاق على شكلِ عصفورٍ صغير، اقترب وأمسكَ به، لكنَّه لم يستطعْ تحريكه، حاول دفعه وسحبه، لكنَّ الباب

ظلَّ صلبًا عنيدًا كرأس عنزة حرون، فقالَ مهدِّدًا بصوتٍ مسرحي مضحك، محاكيًا الرسوم المتحركة التي يحبُّ مشاهدتها: "افتح يا سِمْسِم.. افتحْ وإلَّا سأكسِر رأسَك العنيد".

اهتزَّ المقبضُ بينَ يديه وانفتحَ البابُ بصريرٍ يشبهُ ضحكةً شريرةً في فيلم رعبٍ قديم، وظهرتْ دوَّامَة لامعة تدورُ كلعبة مجنونةٍ في مهرجان حافلٍ بالأضواء والألوان، تفوحُ منها رائحة غريبة؛ كعك بالقانيليا والكراميل والفراولة..

سمع نداءً مشـــــجِّعًا: "تقدَّم يا كريم.. تقدَّم.. "عالمُ العجائب" يناديكَ للقيام بتجربة فريدة في رحلة عميقة في عالمٍ من الأحلام السعيدة".

تردَّد ثمَّ تساءل: "ماذا لو كانَ هذا فخًّا من تلك الفِخاخ التي حذرني منها جدِّي.. أو ربَّما أسوأ؟".. ثمَّ قال ضاحكًا: "أين المشكلة؟! لعلي اكتشف عالمًا سريًّا جديدًا، أو أتحوَّلُ إلى كائن خرافي.. وفي الحالتين، سأصبحُ أسطورةً يرويها الجميع".

أخذَ نفسًـــــا عميقًا وأغلق عينيهِ حتى الرِّمش الأخير.. حنى ظهرَه قليلًا وقوَّسَ قدميه قدرَ ما يسْتطيع ثمَّ ألقى جسَده في الدوَّامة.. شعرَ بقلبه يخفق بشدَّة فيما هو يقفزُ نحوَ المجهول، ليسَ من الخوف، بلْ منْ إحساسٍ غامرٍ بالحرِّية.

المشهد الثاني
زيتون وزيتونة

لحظة السُّقوطِ شـــــابهتْ ركوبَ لعبةِ ملاهٍ أفعوانية هوتْ منْ علوٍّ شاهق إلى وادٍ سحيق، في مسار ملتوٍ على شكل سكةِ حديد عمودية متذبذة.. لم يكنْ خائِفًا من السُّـــــقوط، بل كانَ مدهوشًا من الإحساسِ الجديدِ بالحرية المنطلقة، المفعمةِ بالحياة.. شعرَ بأنَّ جسدَه تحرَّر منْ كلِّ القيود.. كأنَّ طوقًا كبيرًا قد كُسِرَ عنْ عُنقِه، وتخلَّصَ من قيدِه ومن آثاره.

فتحَ عينيه فوجدَ نفسَـــــه محلقًا يطفو وسط دوَّامة منَ الألوانِ والفقَّاعات المرحة.. رأى كرسيَّه يطيرُ إلى جانبهِ، مستمتعًا كطائر فرَّ من قفصه، وحلَّق في الفضاء لأوَّل مرَّة.. عجلاته صارتْ أجنحةً شفافَّة تشبه أجنحةَ فراشات.. الذراعان تلمعان كأنَّهما ذيلا مذنَّبين ضلَّا طريقهما فاشتعلا شوقًا وحنينًا.

رفعَ يديه نحوَ السماء قائلًا: "أنا أطير.. أنا أطير".

لم يكن مجرَّد طيران، بل كانَ تحررًا وانعتاقًا منْ كلِّ قيد مزعج.

اشتدَّ دوران الدوَّامة، هزَّته بعنفٍ فأغلق عينيه من جديد، ليس من الخوف، بل لتزداد أحلامه حجمًا.. وظلَّت الدوامة تدور وتدور حتَّى اشتدَّ عنفها، فأصابَه دوار مفزع هذه المرة.. شعرَ كأنَّه ابتلعَ لسانه، وحنجرته غطستْ في معدته، وأسنانه قفزتْ من فمِه، لكن دون ألم.. لقد كان تحوُّلًا، وليس فقط تخلصًا من القيد.

بعد لحظات توقفتِ الدوَّامة فجأة، ووضعتـــــه بسلام في مكانٍ آمن، ليّن، ومريح.. كانت نعومة الأرض غريبة، كأنَّه مســـــتلقٍ على سحابة رقيقة، فتحَ عينيه فوجدَ نفســـــه على مرتفع ورديٍّ ناعم، رائحتُه تشبِه رائحةَ حلوى غزل البنات، والسَّـــــماء خضراء زاهيَة، والشمس صفراء باهية، على شكل موزة تضحك وتغمزُ له.. كلُّ شيءٍ من حولِه كانَ من الحلوى اللذيذة التي يعشقها..

ثمارُ الأشجار ممرَّغة بحبيبات ســـــكَّر ملونة.. العشبُ رغوة كريمة لذيذة ناعمة، تتطايـــــر هنا وهناك.. كلُّ شيءٍ كانَ جميلًا لدرجة لا تُوصف، كأنَّه دخل حلمًا صُنعَ خصيصًا له.. رأى كرسيَّه المتحرك يحلّق بعيدًا عنه.. شعرَ لحظة بالحَنين، ذلك صديق قَديم لم يفارقه من سنين، ثمَّ تذكر الهمس: "هنا لن يقيّدك كرسي".

نظر إلى قدميه، حركهما، كانت حركتهما غريبة، جديدة، لم يألفها جسدُه منْ قبل، نهض من مكانِـــــه وقفز فرحًا وقال: "أنا أمشي، أنا أقفز، أنا أجري.. كرسي الإعاقة لم يعد يعوقني.. لقد تحققَ حلمي".

لم تكن مجردَ خطوات يمشـــــيها، بل كانت انتصارًا.. كلُّ خطوةٍ تردِّد: "نعم أنا أستطيع".

نبضَ قلبُ كريم وهو ينظرُ إلى قدميه بسعادة، سمعه يقول: "لم يكنْ حلمكَ أنْ تمشي فقط، بل أنْ تثبتَ للجميع أنك تستطيع، الآن أنت سعيد ليس بسببِ مقلب، بل بسبب الحرية والانتصار.. كأنَّ الحياة تكشفُ لك: أنَّ الإعاقة ليستْ كرسيًّا أو قدمَيْن عاجزتين فقط، إنَّما أنْ تعجز عنِ النهوض مهما كانَ شكلُه".

وفيما هو جذلانُ فرحان؛ رأى ضفدعًا ضخمًا، يرتدي نظارة شمسية أنيقة وله لحية بيضاء طويلة.. اقتربَ الضفدعُ منه وقالَ بصوت أجش: "مرحبًا بكَ أيُّها الفتى الوسيم في «عالم العجائب»، يبدو أنَّك وصلتَ للتو.. أنا زيتون، فيلسوف هذا العالم، والمسؤول عن استقبال الزوار".

لم يجبْه كريم.. كانَ فمه مفتوحًا على آخره من الدَّهشة.. تابعَ الضفدع كلامَه دون أن يعيرَ دهشته اهتمامًا: "اسمعْني يا فتى.. قوانيننا هنا في إجازةٍ دائمة، لا قيود، لا قواعد، لا شروط غير الضَّحك.. عالمُنا مصنوعٌ من الحلوى اللذيذة، لكنِ احذر، في الوقتِ الحالي ممنوعٌ عليكَ تناول أي نوعٍ منها".

عندها انحلَّتْ دهشـــــةُ كريم بعضَ الشيءِ وقـــــالَ متعجبًا: "ضفدع يتكلم ويتفلسف! إمَّا إنني أحلمُ، وإما أكلتُ شيئًا انتهت صلاحيته فصرتُ أهذي".

ردَّ زيتون باســـــتياء: "ضفدع! تقول ضفدع! أنَا فيلسوفٌ يا ولد، ألا تعلم أنِّي حاصل على شهادة عالية في الفلسفة.. على كلِّ حال، لا يهم، المهم أنْ تعلمَ أنَّك الآن في ورطةٍ كبيرة".

قالَ كريم وهو يحاولُ ألا يلمسَ غزل البنات، مقاومًا رغبته في تذوقها: "ورطة؟ أنا في ورطة!".

أزالَ زيتون نظارته، نفضَ لحيته، ثم وضعَ يدَه على صدره وقال: "الباب الذي جئتَ منه هو في الحقيقة فاصلٌ ما بينَ الواقعِ والخيال، ولن تستطيعَ العودة من خلاله إلى عالمِك بسهولة.. وقد تبقى عالقًا هنا إلى الأبد".

ذُهِلَ كريم مما ســـــمع.. الانتصار الذي شعرَ به للتو بدأَ يذوب، ليحل محله شعورٌ بالحيرة والخوف.. هل ضحَّى بواقعِه الجميل من أجل كابوس؟

تمتم: "يا لحظي العاثر.. صحيح أنِّي تخلصت من كرسي الإعاقة، لكن هل هذا يعني أني لنْ أعودَ إلى بيتي وأسرتي وأصدقائي.. وسأموتُ أيضًا من الجوع؟!".

حكَّ زيتون مقدمة رأسِه وقال ناصحًا: "لو اتبعتَ التعليمات ربما تستطيع العودَة بسلام، أو ربما تصبحُ مواطنًا دائمًا في مدينة الملاعق الطائرة".

تجاهلَ كريم مشكلته وقالَ متعجِّبًـــــا: "مدينة الملاعق الطائرة! تبدو مكانًا رائعًا.. ربما أصبحُ ملعقة ذهبيـــــة". كانتْ محاولة لتحويلِ القلق إلى مزحة.. فهذه آلية دفاعه المعتادة.

تنهد زيتون وقال بتبرم: "مزاحُك يبدو ثقـــــيلًا في هذا الوقت الحرج، هيا بنا، فطريقكَ طويل، والملاعقُ لا تحبُّ الانتظار".

وفيما كانَ كريم لا يزال مبهورًا، ظهرتِ القطة «ميسو» ترتدي نظارةً شمسية.. قفزت إلى كتفه وهمسَـــــت له وهي تموء: "احذرْ أكلَ غزلِ البنات.. لسانُك سيصبحُ مثل قوس قزح".

رؤية «ميسو» هنا منحته شـــعورًا غريبًا بالطمأنينة، ابتسمَ وشكرَها على تحذيرها، واعدًا إيَّاها بوجبةٍ لذيذة إذا ما عـــاد أدراجه.. وفجأة، دوَّى صوتٌ طقطقـــةٍ عالية.. تبعَها صوتٌ انفجار خفيف.. التفـــتَ الجميعُ نحوَ مصدر الصوت.. شجرةٌ مصاصات قريبة كانت تطلق سيلًا من الحلوى الچيلاتينية الملوَّنة، فيما أغصانها تتمايح في الهواء كأنَّها في مهرجانٍ راقص.

وقفَ كريم صامتًا، فاغرًا فاهه منَ الدهشة المتصاعدة، فيما هربت «ميسو» من الخَوف، كان العالم من حوله ينبـــضُ بطريقةٍ جنونية، وعليه أنْ يتعلمَ قوانينه سريعًا.. التفتَ نحو زيتون الذي بدا كمَن يستعدُّ لإلقاءِ خطبةٍ تحفيزية، فيما اشتدت السَّـــماء اخضرارًا، وتلألأت كسقف ألماسيٍّ عملاق، أمَّا الموزة الشمسية فواصلت غمزاتها كنجمة برَّاقة في عرضٍ مسرحي هزلي ممتاز.

هتفَ كريم وهو يتفادَى الاصطدامَ بمصاصةٍ ضخمة: "ما هذا الذي يجري؟! إنَّه كابوس بالتأكيد!". بدأ يتساءل إن كان الثمنُ الذي قد يدفعه مقابل السير على قدميه هو فقدان عقله..

نفضَ زيتون لحيته بعدَ أنْ أطلق شرارةً صغيرة من عينيه وقال: "اهدأ يا فتى.. أنتَ ما زلتَ في البداية.. القادمُ أصعب.. الآن، أرَحب بكَ على متنِ أوَّلِ اختبار؛ رقصة الحلوى اللولبيـــة المجنونة.. إذا لم ترقصْ معها، ربما تصبح جزءًا من كعكة شهية".

وقبل أن يســـتوعبَ كريم ما يحدث، ظهرتْ جنية يافعة، تتزحلق على لوحٍ من بسكويت الشـــوكولاتة البيضاء، مرتديَة قبعةَ قشٍّ مزينة بمصاصات متوهجة.. قالت بنبرةٍ ناصحة: "ارقص، ولا تتوقف عن الرقص!".

سألها: "ومَن حضرتكِ؟!".

أجابت: "أنا المرشدة المرحة زيتونة.. أميرة الجنيات الصغيرات، سأرافقك في مغامرتك الماتعة".

قال ســـــاخرًا: "ماتعة!!! تعرفتُ على زيتون والآن أتعرَّفُ على زيتونة.. لم يبقَ سوى الزيت والزعتر".

حتى في لحظاتِ الذُّهول، لم يسْـــــتطع أنْ يمنعَ مخزونَ النكات بداخله منَ التدفق.. فقالتْ لـــــه: "يبدو أنَّكَ تحبُّ المزاح كثيرًا.. إذنْ لنْ نختلف، فأنا أحبُّ المزاحَ أكثر.. لكنَّ الوقت الحالي ليس مناســـــبًا للمزاح.. ربما نمزحُ لاحقًا.. أما الآن فهيَّا ارقص!".

هزَّتْ زيتونة عصا سحريَّة ملونة كانتْ تخفيها تحتَ قبعتها.. لوَّحتْ بها بحركةٍ دائرية، فتطايرتْ منهـــــا فقاعاتٌ متعددة الأحجامِ والألوان، على شكل نجومٍ وطيور وفراشات وزنابق بروائح ســـــكرية.. وعلى الفور بدأتِ الفقاعات تغني كجوقة غنائية لامِعـــــة، على أفواهِها مكبرات صوتٍ ضخمة، فيما اندفعتْ حشـــــراتٌ هلامية تعزفُ ألحانًا صاخبة، كفرقةٍ موسيقية محترفة، يقودُها مايسترو ماهر.
كريم، لم يكنْ يعرفُ سوى رقصة «الدجاجة المرحة» من مسرحيَّةٍ مدرسية قديمة.. بدأ يتمايلُ بشكل مضحك ويحرّك يديه، مثل جناحَي دجاجة، صعودًا وهبوطًا، بعدما قوسَهما على جانبيه، ووضعَ قبضتيه على خاصرتيه، متجنبًا المصاصات الطائرة وكرات السُّكر الكرستالية التي باتت تتقاذف نحوه وترقص بحماقة، كمَن يريدُ اقتناصَ جائزةٍ كبرى في مسابقةٍ للمواهب الهستيرية.

في النهاية، كان يرقص من أجل البقاء، متمسِّكًا بأمل العودةِ إلى بيتهِ وأسرتِه.

المشهد الثالث
ملكة الرقص الأسطوري

عندما اشـــــتعلت حلبة الرقص عادت «ميسو» من جديد وهي ترتدي سترةً براقة، وماءتْ بأسلوب مسرحي كأنَّها تقول: "أنا ملكة الرقص الأسطوري".

وراحت تدورُ كعجلـــــةٍ نارية، مطلقة موجاتٍ من البريق.. كانت شـــــديدةَ الاستمتاع بحريةِ هذا العالم.. ربَّما أكثر من كريم نفسه.. لعلَّها هي أيضًا تشعرُ بأنَّها كانت مقيَّدة، تعيشُ في إقامةٍ جبرية دائمة في جوار جدِّه العجوز.

وفيما كانتْ دهشةُ كريم تزدادُ والجميع يَرقص؛ ظهرَ ببغاء مبهرَج كالمُهرِّج، يكسوهُ ريش بألوان الأحجار الكريمة، عيناه تبرقان كحبتي ياقوتٍ أخضر، أمَّا عرفه فمنثنٍ كقوس قزح مكتملِ النموِّ في الأفق..

صاحَ بأعلى صوته: "أنا ملك ملوك الرسوم الجميلة.. رحِّبوا بي ترحيبًا هائلًا، وارقصوا احتفاءً بحضوري، أو سأرسمكم مثل نهر صامت".

كان تهديده سخيفًا، لكنَّ كريم تعلَّم ألا يستخفَّ بشيء هنا.. اقتربَ منهُ الببغاء ونزع ريشةً من جناحه.. بدت مثل ريشـــــةِ رسم صغيرة، رأسُها كرأس قلم فاخر، لكنَّها لا تشبه في الواقع الريشَ ولا الأقلام، تبدو متوهجة تنبضُ بالحياة، وتشعُّ بالنور..

قال الببغاء: "الآن أيُّها الشاب الصَّغير، ارســـــم ما تشاء واكتب ما تشاء، لن تستطيعَ بعد الآن التوقف عن الرسم ولا عن الكتابة".

وبدافع منَ الهلعِ والمرحِ معًا، أمسك كريم الريشة ورسم في الهواء قلبًا مع جناحين.. حلَّقَ القلبُ وحوَّمَ بطريقة متعرِّجة، ونفثَ ضحكةً في الهواءِ فيما هو ينطلقُ متحرِّرا من كل قيد، فخطَّ كريم خلفه برأس القلم عبارة: "الضحكُ بلسمٌ للقلوب.. لكنْ بحكمةٍ وتروٍّ دون مبالغة".

فانهمر صوتُ الببغاء مثلَ المطرِ يقول: "صدقتَ أيُّها القلب الصَّغير.. فالضَّحك يزيلُ الغمَّ ويمحو الهمَّ، لكنَّ الإكثار منه يورث القلب قســـــوة، والإفراط فيهِ يجلبُ الغفلة".

كانت هذه أوَّل حكمة حقيقية يســـــمعها كريم في هذا العالم العجيب، منذ مجيئه إليه منْ حيثُ لا يَحتســـــب، فقالَ: "أنا أمزحُ فقط لأُضحكَ الآخرين، فيما أحبسُ دموعي.. الآن أيقنتُ أنَّ الضحك الصَّادق دواءٌ لي ولمَنْ حولي.. أمَّا الكاذب فخطر يهدد الجميع".

وفي لحظة سريعة انتفضَ الببغاء بشدَّة، وتناثر ريشُه إلى ألفِ قطعة صغيرة، تحولت فورًا إلى فراشات ملونة شكَّلت بأجنحتها الرقيقة قلبًا بداخله عبارة: «كريم بطلُ الرسم».

صفَّق زيتون وصفَّر، أمَّا زيتونة فأطلقـــــتْ فقَّاعة كتبتْ عليها: «كريم بطل الأبطال».. حتى «ميســـــو» هزَّت ذيلها وماءتْ مـــــواءً مملوءًا بفرحة الفوز كمشجع يهتف: شيءٌ رائع.. وهنا شعرَ كريم بتقدير حقيقي لكونِه هو نفسُه، وليسَ بسببِ نِكاته غير المضحكة.

في تلكَ اللحظة ظهرتْ لوحةُ إعلانات طائرة تعلنُ فوز كريم بميدالية الضحك الأولى، ثمَّ سقطت ميدالية سكريَّة مغموسة بالقشدة والعسل، عليها صورة كريم وعِبارة: «كريم بطل أبطال المرح».. ولسوء الحظ، ارتطمتِ الميدالية بقبعةِ زيتونة، فطارت بالهواء، وتبعثر شعرها الطويل الذي كانت تخفيه داخل القبعة، فتدبَّق بالعسل، وتعفَّر بحبيباتِ سكر صغيرة تشبهُ قطع الكريستال البرَّاق.

أمَّا الميدالية فعادتْ وقفزت نحوَ كريم، وطوَّقَ عقدها الفريد العريض رقبتَه، في مشهدٍ سينمائي عجيب.. الهديةُ كانت غريبة نوعًا ما، لكنَّها جعلته يشعرُ بأنَّه على الطريق الصحيح.

نفضَتْ زيتونة شـــــعرها والتقطتْ قبعتها، ثمَّ التفتت نحوَ كريم وهنأته، رغم غضبِها من الميدالية.. ثمَّ اختفتْ فجأة كما ظهرت فجأة، لعلَّها تريد غســـــلَ شعرها والتخلص من دبق العسل وحبيبات السكر.

كريم الغارق في حالة دهشـــــة متواصلة؛ لامسَ قلبه نبض الأمان ودفء الاطمئنان، موقنًا أنَّ الفكاهةَ والنباهةَ يضمنانِ تحويلَ أيَّ تحدٍّ يصادفه إلى رحلةٍ مقرونة بالمتعة والسعادة.. رفع الريشةَ ورسم بالهواء قلبًا مرَّة أخرى، وهمسَ لنفســـــه: "كم جميلٌ شعور المرءِ بأنَّه مقبول كما هو، بلا قناع ولا خديعة.. فيا ليتَ أصدقائي يرَونني الآن، سوفَ يعلمون حتمًا أنَّ مَن يحاول إضحاكهم ليس دائمًا مهرجًا، بلْ قد يكون قلبًا يحاول النجاة".

بدأتْ ثقته بنفسِه تنمو بشكل أكبر، ليسَ فقط بسببِ العالمِ الخيالي والمغامرة الفريدة التي يعيشها، بل لثقتِه بقدراته هو، معتقدًا أنَّ الآتي أَهْوَن.. لكنَّ إحدى الفراشات اقتربتْ من أذنِه وهمستْ له بلهفة قاطعة حبلَ أحلامه الوردية: "احذر يا كريم، التحدي الآتي ليس سهلًا.. مكانه مدينةُ الملاعق الطائرة".

ضحكَ كريم وقال: "هذا يعني أنني قد أصبـــحَ ملعقة طائرة، ولنْ أحتاج إلى كرسي متحرِّك مستقبلًا"..

استخدم المزاحَ مرَّة أخرى كدرعٍ ليحميه، لكنَّه في أعماق نفسِه كان يعلم أنَّ التحذير حقيقي، رغم أنَّه في عالم خيالي.

لحق كريم بزيتون عبرَ ســـهلٍ من الحلوى القطنية الملونة، حيثُ أغصانُ الأشجار تبدو كمصاصات سكريَّة شهيَّة، والأرض تفوحُ منها رائحة حلوى مع عَصيرِ التوت البري الأزرق.

سار كريم بحذر كي لا يدعس «دعســـة ناقصة»، فيتعثر ويغطسُ في الأرض الضحلة.. فهذه أوَّل مرَّة يجرب السَّير على قدميه، وكانت كلُّ خطوة يخطوها تصدرُ صوتًا يشبه مضغَ خلايا شمع العســـل الشهية، فيما الزهور تطلق فقاعات تتمايل في الأجواء، ثمَّ تفقعُ وتخرجُ منها روائح مختلفة، مثل رائحة النرجس والياسمين.

توقفَ كريم ليلتقـــط زهرةً من حلوى جميلة أعجبَه لونها، لكنَّها نطَّتْ نحوَه ومرَّغت فمَه ووجهَه وشـــعره بمادةٍ لزجة، شكلها بهيٌّ وطعمها شهي، أما رائحتُها فمنعشة.. مسحَ وجهَه وتلمظ بلسانِه متلذذًا، ثم لفظها بعدما تذكَّر خطرَ تناول الحلوى وقال: "كلُّ شيء هنا يحاولُ إحراجي".

ردَّ الضفدع زيتون وهو يقفز مرحًا ضاحكًا فوق بِركة من عصير الفراولة المحلى بماء الورد: "هنا، إذا لم تُحرج، فأنتَ لا تعيش".

وبعد دقائق من السير، ظهرتْ أمامهما مدينةٌ غريبة، كأنَّها خرجت للتوِّ من لوحة طفل مجنون.. الأبنية على شكلِ فناجين شـــاي عملاقة، بمقابض ملتويةٍ مطلية بالذهب.. الشوارعُ مرصوفةٌ بمكعباتٍ ضخمةٍ من حبيبات الرمَّان، كأنَّها مطلية بأصباغٍ ورديةٍ شفافة وبرَّاقة.. أما السَّماءُ فكانتْ مزدحمة بسنابلِ قمح ذهبية، مثل أسراب عصافير مغرِّدة تتسابق، تحلِّق ذهابًا وإيابًا، وتصدرُ أنغامًا موسيقية متناسقة..

مرَّت إحدى السَّنابل قربَ كريم وابتسمتْ له، فنظر إليها بدهشة وقال: "يا للعجب.. إنَّها حيَّة".

أجابه زيتون: "بالطبع، ولا يمكن السَّـــيطرة عليها، فهي حسَّاسة جدًّا بشأن حريَّتها.. في مرَّة، حاولَ أحدهم أخذ سنبلة واحدةٍ كتذكار، فلسعتْه وانتزعتْ شعره المستعار، وجعلته أضحوكة".

أنصتْ كريم إلى هذا الكلام باهتمام، رأى أنَّ الابتعاد عن الســـنابلِ غنيمة، لا سيَّما أنَّ شعره طبيعي، وقد تنتفه شعرةً شعرة.. مضى في الطريق مع زيتون حتى بلغا ســـاحةَ المدينة، حيث نافورة ضخمة يتصاعدُ منها عصير برتقال ماوردي فوَّار، وحولَ النَّافورة جلستْ مجموعة من المخلوقات الغريبة:

• قنديلُ بحر بـــرأسٍ رفيع طويل، وأنفٍ دقيق صغيـــر، كان يقرأ كتابًا من المارشميلو.. كلما انتهى من قراءةِ صفحةٍ التهمها..

• زرافةٌ برقبةٍ قصيرة وأجنحة كبيرة ملونة، مثلَ أجنحة فراشة عملاقة، كانتْ تأكلُ غيومًا على شكلِ فطائر مقليَّة.

• سلحفاةٌ تقفُ على قدميها الخلفيتين بثبات، كانت تعزفُ على قيثارة أوتارُها من خيوطِ عنكبوت، وإطارها من قشر الموز، تترنَّمُ بموسيقا الطبيعة، وتعزف ألحانًا مثل زقزقةِ العصافير، وهفيفِ النسائم، وطنطنة النحل.

همسَ كريم: "هل هؤلاء طبيعيون؟".

أجابه زيتون: "في «عالـــــم العجائب»، لا يوجدُ شيء غير طبيعي، لأنَّ هذا هو الطبيعي".

المشهد الرابع
قاطور المتجسِّس

أشـــــارَ زيتون إلى مخلوق يقترب.. تمساح بحجم فيل، يرتدي حزامًا مملوءًا بالمفاتيح، يحملُ دفترَ ملاحظات.. كانت خطواته الثقيلة تسبب اهتزازًا في أرضية الحلوى، ما جعل كريم يشعرُ بجديَّةِ الموقف.

وقفَ أمامَ كريم ونظرَ إليه بعينين ضيقتين، وقال: "أأنتَ كريم.. زائرنا الجديد؟ أهلًا بك.. أنا قاطور المتجسس، المسؤولُ عن البوابات.. البوابة التي دخلت منها تلاشتْ.. أساسًا لا يوجد لها مفتاح من جهتنا، وهذا ليس خبرًا جيدًا".

كان صوته أجش وجادًّا، يخلو من بعض المرحِ الذي طبعَ المواقف السابقة.. فقال كريم وقدِ ارتفعَ صوتُه قليلًا، كخليطٍ من الشعور بالذنبِ والدِّفاع عن النفس: "تلاشتْ؟ كيف؟! أنا فقط فتحتُ الباب، لم أضغط زرًّا يدمِّر الكون".

تنهَّد قاطور المتجســـــس وفتحَ دفتر ملاحظاته وقرأ بصوتٍ مرتفع: "البوابة حسَّاســـــة جدًّا، فهي عبارة عنْ برزخ فاصلٍ ما بينَ الخيال والواقع، وما بين الحلم والحقيقة".

سؤال كريم المباشر هذه المرَّة، دون مزاح، عكسَ قلقَه الحقيقي المتزايد: "وكيف أعود إلى بيتي؟".

قال: "أنتَ تحتاج إلى ثلاثِ بطاقات، تحصُل عليها بعد اجتياز ثلاثة اختبارات.. الأوَّل في وادي الألغاز المتشَقلبة، والثاني في مملكةِ الأحلامِ المعلبة، أمَّا الثالث ففي المكان الذي لا يوجدُ فيه شيءٌ".

خيال كريم الواسع بدأ يرسمُ سيناريوهات مرعبة عن اللاشيء.. فقالَ وهو يحكُّ رأسَه: "ما هذه الأماكنُ الغريبة؟ وآخرها أغربها على الإطلاق.. يبدو مكانًا مخيفًا".

أجابه: "أتظنُّه مخيفًا! هههههه.. إنَّه أخوَف منْ مخيف... لكنْ لا تقلق، لديكَ زيتون وزيتونة".

ضحكة قاطور لم تكنْ مطمْئِنة، بل كانت تنذرُ بصعوبة ما سيأتي.. فكَّر كريم ورسمَ في الهواءِ كرسيَّ إعاقة طائر، مع عصا سحرية، وقال: "إذن.. العودة ليستْ هدية سهلة المنال، بل هي طريقٌ مملوء بالتجارب الصعبة.. أنا لستُ بحاجة إلى كرسيّ طائر، ولا إلى عصا ســـــحرية، بل أنا في حاجةٍ إلى التجربةِ والسقوط، والمحاولة من جديد".

وقبلَ أن يحصل على إجابة دوَّى صفيرُ عالٍ، وظهرتْ زيتونة من جديد تتزحلقُ على لوح تزلجٍ على شكل ســـــمكة، ترتدي قبعة قشٍّ ضخمة مزينة بريشٍ ملون، توقفتْ بحركةٍ بهلوانية، وصاحتْ: "لا تقلقْ يا كريم، أنا أملكُ شـــــهادةً عالية في المغامرات الخطيرة.. وصديقاتي يلقبنني بالمجنونة، سوفَ أجعلُ رحلتك أكثر مرحًا.. هل تحبُّ المغامرة؟".

أخرجَ الريشـــــة المتوهجة من جيبِ سترته الواسع، وبدأ يرسمُ زيتونة بزيّها الجديد، ثمَّ قال: "ليسَ عندي خيارٌ آخر".

إجابته كانتْ صادقة ومحطمة للأوهام؛ لمْ يعد الأمرُ متعلقًا بحبِّ المغامرة، بل بالضرورة.. نظر إلى زيتون وهمسَ: "هل هي ثقة؟ تبدو مجنونة حقًّا"..

أظهرتْ همسته بداية تشـــــككه في كفاءتِها، فأجابَه زيتون مبدِّدًا أوهامَه: "هي الأفضل على الإطلاق، لكنِ احذر، إذا أعطيتَها سكَّرًا، ستبدأ بإلقاء نكاتٍ بائخة لا تنتهي".

ضحكتْ زيتونة دونَ أن تعبأ بشعورِ كريم وأفكاره نحوها، فهي تثقُ بما لديها من قوَّة ومعرفة وجسارة.. تأمَّلت شكلها في اللوحةِ التي رسمها.. لم ترقْ لها.. هزَّت عصاها السحرية وأطلقتْ نحوها نجومًا شتتها.. ثمَّ انطلق الثلاثة عبر وادي الأسئلة التي لا إجابة لها..

وفي طريقهم وجدوا عربةً تجرُّها دودة قزٍّ عملاقة ترتدي قبعةَ طاهٍ متقاعد، ركبوا العربة وساروا على طريقٍ مرصوفٍ بحبات بسكويت تبدو لذيذة الطعم، لكنَّ زيتونة حذرته من لمسها أو تناول جزء منها.. وقالت: "ملكة البسكويت أصدرت أمرًا بحبسِ كل مَنْ يأكل من البسكويت، خشية انقراضه".

في هذه الأثناء كانت دودة القز تدندنُ أغنيةً غريبة عن «كعك القمر السَّاخن»، فتساءل كريم: "هل هذه الدودة مطربة؟".

ردت زيتونة: "بالطبع، لكنْ لا تمدحْهـــــا كثيرًا، عندها لنْ تتوقفَ عن التباهي، فتضل الطريق".

وفيما كانتِ العربة تتهادى؛ شعرَ كريم بمزيجٍ من الدَّوار والقلق.. تسللَ الخوفُ إلى قلبه.. فأخرجَ الريشةَ المتوهِّجة وكتبَ برأس القلم: «لا للخوف».

رأى أنَّ المغامرةَ باتت تشكِّل تحديًّا، وربما تكونُ أكثر منْ مجرَّد بحثٍ عن حلٍّ للعودة إلى العالم الحقيقي.. وتذكَّر كلام جدِّه بأنَّ هناك أسـرارًا تنتظره، لكنَّه توجَّسَ من فشلِ مغامرته، فيكون مصيره في النهاية ملعقةً ذهبية.

واصلتِ العربة سـيرها بطريقٍ متعرِّج، مرصوف بقطعٍ من الشـوكولاتة السَّوداء، يكسـو جوانبها بعضُ البسكويت، وكانت تصدر صوتَ قرقشةٍ مع كلِّ خطوة.. فقالَ كريم وهو يتشبثُ بحافَّةِ العربة: "أشعرُ كأننا في الطريقِ إلى حفلة صاخبة.. أو ربَّما إلى فخٍّ عميق".

ضحكت زيتونة: "هههه.. فخ؟ يا له من طموح.. هذه مجرَّد بداية المغامرة، وإذا كانَ هناك فخ، فهو فخ لذيذ جدًّا".

رفعَ زيتون نظارته الشمسية وقال: "أحذِّركم يا أصدقاء من أنَّ وادي الأسئلة التي لا إجابة لها ليس مكانًا ترفيهيًّا.. الهَواء نفسُه يهمسُ بالأسئلة، وإذا جرَّبَ أحدُكم الإجابة قد يجدْ نفسَه عالقًا في حلقة مفرغة منَ التفكير الجنوني، لا يمكن الخروج منها بسهولة".

قال كريم وهو يهرش رأسه بتوتر: "هل هذا منطقي! أنا بالكاد أستطيعُ الإجابة عن أسئلةِ اختبار الحساب البسيط.. فكيف أتصرَّفُ مع وادٍ منَ الأسئلة؟".
فجأة ارتجَّت العربة وانحرفتْ عن الطريـق، مالتْ قليلًا.. فانخضَّتْ الدودة وتجشأت.. غضبتْ زيتونة وقالتْ لها: "يا فتاة.. ألم أقلْ لكِ مرارًا وتكرارًا غيري إطارات العربة.. الآن سنضطرُّ إلى المشي مسافة طويلة".

ترجَّل الجميعُ وســـاروا حتى وصلوا إلى مدخل الوادي.. كان عبارة عن بوابةٍ ضخمة على شكل علامةِ استفهام منحوتةٍ في صخرةٍ تطفو في الهواء، محاطة بسحبٍ ورديَّة تطلقُ شراراتٍ صغيرة، مثل بالونات هوائية، احتفاء بمولودة انتظر والداها مجيئها منذ فترةٍ طويلة.

على جانبي البوابة، كان يوجد تمساحان عجوزان، يضع كل واحدٍ منهما على رأسِه قبعة ضخمة، ويرتدي قميصًا مكتوبًا عليه: «حارس مبتدئ».. أحدهما رفع رأسه متمَلمِلًا وقال بصوت أجش: "هل الدجاجة جاءت قبل البيضة، أم إنَّ البيضة طلبت توصيلة؟".

وقال الآخر وهو يعبثُ بقلم حبر جاف دونَ أنْ يضحك، كأنَّه سمعَ هذه العبارة من قبل عدة مرات: "السحابةُ الحزينة تمطر دمعًا أو عصير ليمون حامض؟".

همسَ كريم لزيتونة: "ما هذا الكلام غير المألوف؟! أظنُّ أني ســـأجنُّ قبلَ الدخول".

أخرجتْ زيتونة عصاها السِّـــحرية وأطلقتْ فقاعةً كتبتْ فيها كلمة واحدة، لكنَّها كانتْ كبيرةً وبراقة، بحجمها ومعناها: «تغافلوا».. ثم قالتْ: "لا تشغلْ نفسكَ بما تصادفه منْ أســـئلةٍ غريبة.. إنَّها مثل إعلانات الطريق؛ مضجرة ومزعجة وملهية، يمكنكَ تخطيها بالتغافلِ عنها".

المشهد الخامس
مدينة الملاعق الطائرة

دخل الثلاثة الوادي، فاستقبلتهم سيمفونية من رنينِ المعادن.. آلاف الملاعقِ تحركتْ في انســـــجامٍ تامٍ كأنَّها جوقة موسيقية عظيمة.. أدركوا أنَّهم أصبحوا في قلب مدينةِ الملاعق.. لكن الجوَّ تغيرَ فجأة.. وتحوَّل الانسجامُ إلى فوضى صاخبة.. بدأت الملاعقُ الطائرة تحيط بهم منْ كلِّ جانب.. وأصبحَ الهواء ثقيلًا، يحملُ همسات غريبة تتسللُ إلى الآذان مثل ذبابٍ صغير.

كانت الهمسات أفكارًا تتسارعُ وتتصارعُ في الأذهان.. وعادتِ الأسئلة تتطاير حولهم كالفراشات: "لماذا لا يضحك القمر؟ هلْ الأظفار المقلَّمة عضو في نادٍ سري؟ إذا حلمتَ بأنَّك تحلم؟ إذن أنتَ نائم مرتين....".

حاول كريم جاهدًا تجاهلها والتغافل عنها، مســـــتذكرًا نصيحةَ زيتونة، لكنَّ الأســـــئلة كانتْ تلتصقُ بوعيهِ كالطفيليات.. لكن الأسوأ حدَث.. أفكارُه بدأتْ تتحدثُ مع نفسِها بصوتٍ مسموع في داخله..

أصواتٌ كثيرة اقتحمتْ رأسَـــــه: "هل نسيتَ إطعامَ القطةِ قبل أنْ تقفزَ منَ الباب؟ ماذا لو كان الجدُّ يبحثُ عنك الآن، ويحملُ عصا مكنسة ليضربك بها؟ هل هذه المغامرة خطوةٌ جيدة، أم إنَّك مراهقٌ طائش متهور؟ هل ستعودُ إلى كرسي الإعاقة، أمْ ستبقى هنا متحررًا منها على الدوام؟...".

مخاوفه الشخصية خرجتْ منْ قمْقمها.. السؤال الأخير بالذات اخترقَ كلَّ الدفاعات وكاد يشلُّ إرادته.. غطى أذنيه، وصاح: "توقفوا.. أنا فقط أريدُ العودةَ إلى بيتي، لا أحتاجُ إلى خطابات من دماغي".

كان صراخُه محاولةً يائسة لاستعادةِ السيطرة على عقلِه الذي انقلبَ عليه.. فوضعَ زيتون يدَه على كتفِ كريم، وقال بلطف: "لا تقلق يا فتى.. الأسئلة هنا مثل بالوناتِ الهواء، إذا ملأتَها بالإجابات تكبـــــر وتنفجر.. تجاهلْها وركِّزْ على الطريق، أنتَ لستَ أفكارك.. أنتَ مَن يختارُ أيًّا منها يسمعُ، وأيًّا منها يتجاهل".

أخذَ كريم نفسًا عميقًا، وحاولَ تطبيقَ النصيحة.. بدأ يتنفسُ بعمق، متجاهلًا الأســـــئلةَ، كمَا لو كانتْ ضجيجًا مزعجًا، لكنَّه بعيد.. كانت هذه أول مرَّة يقدِّم فيها زيتون نصيحةً وجودية حقيقية، تتجاوزُ مجرَّد التحذير من الخطرِ المادي.

وفيما كان كريم وزيتون وزيتونة يتجولون في مدينة الملاعق، اصطدمَ كريم بملعقةٍ طائرة ترتدي قبعة طبَّاخ.. صرخت: "أنا ملعقة شـــــوربة سلطانية.. ابتعدْ عنْ طريقي يا ولد ولا تعبثْ معي".

انفجرَ كريم ضحكًا.. ضحكته كانت بمنزلة تحرُّرٍ من قبضة كادت تخنقه.. إنَّها لحظةٌ يحتاجُ إليها.. ضحكة صادقة حطمتْ سلسلةَ الأفكارِ المقلقة.

سمِعَ صوتًا غريبًا.. التفتَ فرأى طفلًا صغيرًا منَ السُّكر يبكي لأنَّه فقدَ ملعقته المفضلة، كانتْ دموعه عصير ســـــكر يتساقط على الأرض، فقرَّر مساعدته؛ أمسَـــــك ملعقة الطفل المتمرِّدة التي كانت تحاولُ الهرب وأعادها إليه.. في وسط كلِّ هذه الفوضى اللامعقولة، وجدَ شيئًا جيدًا ليفعله، فيكون مفيدًا.

لم يكنْ شعوره مجرَّدَ إحساس جيد، بلْ كان تذكيرًا بأنَّه ما زال قادرًا على التأثير الإيجابي، حتى في هذا العالمِ العجيب.. ابتسمَ الطفل وأعطاهُ نجمةً لامعة في وسطها عبارة: «شكرًا يا بطل المساعدة».

ملأتِ السَّعادة قلبَ كريم.. قال وهو يمسكُ بالنَّجمة: "يا للعجب! لم أشعر يومًا بأنني بطل، ولا حتى شبه بطل، أو على الأقل نصفَ بطل، لكنني الآن صرتُ واحدًا من الأبطال، ليس لأنني هزَمتُ عدوًا، أو قاتلت وحشًـــــا، أو حلقت في الفضاء، بل لأنني ساعدت طفلًا صغيرًا.. حقًّا؛ إنَّ البطولة ليست بقوَّة الجسد، بل بنبضِ قلبٍ يعرف ماذا يمنحُ، وكيفَ، ومتى يمنح!".

ثمَّ جالتْ عيناه في الأرجاء متأمِّلًا المكان بفخر.. أيقَنَ أنَّ الجميعَ هنا يمتازون بالعمل الجماعي.. بدأ يرى النظام داخل الفوضى.. قال: "حتى الملاعق السحرية تعمل معًا".

فجأة، ظهرت لوحةُ إعلانات طائرة: «ممنوع أكلَ البسكويت دونَ إذنِ الملكة». ابتســـــم كريم، تذكر ما قالته زيتونة، وتَمتم: "حتى في «عالم العجائب» توجدُ قواعد صارمة مضحكة".

أدركَ أنَّ القواعدَ، حتى لو كانتْ سخيفة، فإنَّها تخلقُ نظامًا ما.

زيتونة لوَّحتْ بعصاها السـحريَّة، فتحولتِ اللوحة إلى كعكةٍ تطير بأجنحةٍ متعددة وهي تردد: "كنْ بطلًا وساعد الجميع".

كان تحويلها إلى لوحةٍ ليس لمجردِ العبث، بل لتؤكد الرِّسـالة التي حققها كريم للتو.. قالتْ بسعادة: "فعلًا أنا كذلك.. هذا هو كوني.. اللطفُ والمساعدة يفتحانِ أبوابًا منَ الخيرِ أكثر منْ أيِّ مقبضٍ ذهبي، وكذلك الضَّحك، فهو يجعلُ التحديات أخفَّ وطأة، وأقل تأثيرًا".

اعترافها كان نادرًا، أظهر شـخصيتها أكثر عمقًا من مجرَّد مهرج.. نطَّت كأنَّها في ملعبِ تنس، وبدأتْ تقرأ الأسئلةَ وتجيبُ عنها بإجابات عشوائية هوائية: "لماذا لا تضحكُ القطط؟ لأنَّها تحضر أفلامًا مخيفة - متى تمتنع السَّمكة عن الغناء؟ عندما يرمي بها البحر على الشـاطئ - كيف يُضاء القمر دون أسلاك؟ بالشحن اللاسلكي".

كان كريم يراقبُ زيتونة ويضحك عند كل جوابٍ رغمًا عنه، وبدأ يشـعرُ أنَّ الوادي أصبح أقل رُعبًا.. وفيما هم يسيرون صادفوا جسرًا معلقًا بحبالٍ من المعكرونة الملونة، يمتدُّ فوقَ نهرِ حليب بالشوكولاتة، يصدر فقاعات برائحة الكاكاو، الجسرُ كانَ يهتزُّ قليلًا، وفي منتصفه وقفَ مخلوقٌ غريب.. نصفه كتابٌ ضخم بغلافٍ جلـدي، ونصفه الآخر نجمة بأضواءٍ وامضة.. قالَ كلمات كأنَّها تخرجُ من فوهة مكبرِ صوت سفينةٍ سياحية: "أنا مجماج حارسُ الجسر.. لنْ تعبروا إلا إذا أجبتُم عن لغزي".

قال زيتون: "وما هو اللغز؟".

قال: "عندما تعرفُه يفقدُ قيمته، يتحيَّرُ إذا تجاهلته، يختفي إذا تحدثتَ عنه؟".

شـــــعر كريم كأنَّ دماغه يريدُ حلَّ لغزٍ في لعبة قيديو دونَ تعليمات.. نظر إلى زيتونة، التي كانت تمضغُ علكة وتحدِّق إلى حارسِ الجسر، كأنَّها تفكر في القفزِ بدلًا من الإجابة..

همسَ زيتون: "فكِّرْ بعمق يا كريم.. هذا ليسَ مجرَّد سؤال، بلِ اختبار للفطنة، وليسَ للمعرفة".

جلسَ كريم على صخرة إسفنجية، أصدرت صوت «شششش» عندما ألقى بثقله عليها، وبدأ يفكِّر.. تذكَّر أنَّه عندما كانَ في المدرســـــة إذا همسَ بسرٍّ لصديقه؛ انتشـــــر، فيفقد السرُّ قيمته، وفكَّر في أنَّ تجاهلَ بعض الأمور يحير الآخرين، لكنَّه يريح النفس، والتحدَّث يكشـــــفُ السرَّ ولا يعود سرًّا فيختفي.. وربط اللغز بتجربةٍ شخصية واقعية، يجعل حلَّه أكثر معنى.

ابتسمَ وقال: "السرُّ.. إنَّه الســـــر.. يتغير إذا عرفته، بعد معرفته لا يعودُ سرًّا، ويتحير إذا تجاهلته لأنَّ تجاهله يثير التساؤلات، ويختفي إذا تحدثتَ عنه لأنَّه يزولُ كونه سرًّا إذا تمَّ البوح به".

إجابته لم تكنْ مجرَّد «السر»، بل كانتْ شرحًا لسببِ كونها «السر»، مما أظهر فهمًا أعمق.

مجماج تجمَّد في مكانِه، قال: "أحسنت.. إجابة صحيحة.. كيفَ عرفتها بهذه السرعة؟".

أجابه: "ربما لأنني لم أكتم سرًّا في حياتي".

ردُّ كريم المازح أظهرَ حقيقـــــة أنَّه تعلَّمَ منْ خطئه، وأنَّه ما زال يحبُّ المرح.. عندها انفجرت زيتونـــــة بالضَّحك، ورفعتْ يديها كأنَّها تريد الاســـــتسلام، فاصطدمتْ بثمرةِ جوز هند بحجم كرة قدم.. أمَّا مجماج فقدِ اختفى بعدما تحوَّلَ إلى سحابة زرقاء..

بعد ذلك عبرَ الثلاثة بحذر.. وعند نهايةِ الجسر اعترفَ كريم بشيء مهم، قائِلًا: "كلُّ خطوةٍ فوقَ الجســـــر كانتْ ترعبني، لكنِّي لم أتراجع، ورغمَ اعتقادي بأنَّ الخوف قد يعوِّقني، فإنَّه جعلَ الأثر أعمق.. فعلًا؛ إنَّ الشجاعةَ لا تعني انعدامَ الخوف، بل المضي قدمًا رغم وجوده".

ثمَّ أخرجَ الريشـــــةَ المتوهجةَ وكتبَ في الهواء: «نعم للشجاعة والحكمة.. لا للطيش والتهور».. عندها ظهـــــرتْ أمامهم صخرةٌ ضخمة على شكلِ وجه، بحفرة عميقة كفم كبير يضحك، وفوقها لافتة كُتبَ عليها بحبرٍ يتغير لونه كلَّ بضعِ ثوانٍ: «هنا كهفُ الألغاز المتشقلبة.. الرجاء قلبَ المنطقِ قبلَ الدخول».

قال كريم: "قلبُ المنطق؟ أنا بالكاد أملك منطقًا لأقلبه".

اعترافُه بحدودِه كان بدايةَ الحل.. أمَّا زيتون فابتسم وقال: "هنا سنجدُ الحلَّ الأول ونحصل على البطاقة الأولى.. هذا إذا كنا أذكياء.. أو ربَّما حمقى".

رفعتْ زيتونة عصاها وأطلقتْ فقاعةً تقول: "الغموض يخلقُ فضولًا.. لنهجم".

ثمَّ قفـــــزتْ إلى فتحةِ الكهف، فتبعها كريم وزيتون، وهم جميعًا لا يعرفونَ ما ينتظرهم داخل الكهف.. كانوا يشعرون بأنَّهم على عتبةِ أوَّل انتصار حقيقي.. وفيما هم «يهجمون» كانتِ الأســـــئلةُ الطائِرة تنهالُ عليهم كالسِّهام، وصارَ كريم يحاول تجاهلها..

ظهرتْ غيمةٌ على شكلِ علامة استفهام، ترتدي قبعةً غريبة، صرخت: "لماذا لا يسبح الغربال في البحر؟ لأنَّه يخجل من الثقوبِ التي فيه".

انفجرَ كريم ضحكًا حتى سقط أرضًا.. فألقتِ الغيمةُ سؤالًا آخر: "هل يمكنك إقناع أغصان المعكرونة بالغناء؟".

قرر كريم المحاولة، فأمسك غصن معكرونة، وغنى أغنيةً بصوتٍ سيء.. فبدأت المعكرونة تهتز وتغني ما جعل زيتونة تضحكُ وتقول: "هذا أسوأ منْ حفلةٍ للقطط السَّائبة على الطرقات".

أغصان المعكرونة كانتْ سعيدةً بأداء كريم، فأهدتْه ميداليةً معكرونيةً لامعة كتبتْ عليها: «بطل الإبداع».. فشعرَ كريم بأنَّ الثِّقة بالنَّفس تحوِّل أي سؤال محير إلى فرصة للانطلاق، وأنَّ انعدامها هو الإعاقة الحقيقية.. همس له أحد الأغصانِ: "احذرْ.. الوادي يحبُّ المقالب".

في تلك اللحظة تطايرت فاكهة الخوخ كأنَّها كراتُ تنس، فقال كريم: "يبدو أنَّ الأسئلة هنا تحبُّ لعبةَ كرةِ المَضرب"..

فقالت زيتونة: "هـــــذا هو الإبداع الحقيقي.. فالإبداع يحـــــوِّل التحديات إلى مغامرات، والضحك يهزِم الإعاقة".

وقبل أنْ يتابعوا طريقهم، ظهرتْ تشكيلةٌ من الألغاز الطائرة، كان لا بد من أنْ يجيبوا عليها قبل العبور.. وبدأ كريم وزيتون وزيتونة يجيبونَ عن الأسئلة: "إذا وضعته في الثلاجةِ لا يبرد؟ ؛ الفلفلُ الحار - كلما زادَ نقص؟ ؛ العمر - لها عينٌ ولا ترى؟ ؛ الإبرة - لماذا سُميَّ البحرُ الأسود بهذا الاسم؟ ؛ حزنًا على البحرِ الميت..".

قال كريم لنفسِه: "غريبٌ أمري.. لم أكنْ أهتمُّ بالألغاز من قبل، كنتُ أتحاشاها، أمَّا الآن فأراها لعبة، ربما لم أكـــــنْ غبيًّا قط، بل فقط لم أمنحْ نفسي فرصةً للتفكير بعمق".

أخرج ريشته وكتبَ بالهواء: "الخطأ ليس عيبًا، بل طريقًا لاكتشاف شيءٍ آخر..".
وفي تلك اللحظة سقطت فجأة ميدالية جديدة ألقاها لغزٌ طائر، محفور عليها:
«كريم بطل الألغاز».

المشهد السادس
مرايا المزاح

شـــــعرَ كريم وزيتونة وزيتون بتعبٍ شـــــديد.. مغامراتهم المتتالية أثقلتْ كاهلهم، والتحدياتُ العقلية في وادي الأســـــئلة استنزفت طاقاتهم.. كما أنَّ المشي المتواصل أرهقهم، فضلًا عن الأسئلة التي انهالت عليهم بلا توقف.. وفجأة أيضًا.. ودونَ سابق إنذار.. انقلبَ العالم رأسًا على عقب، وتغير كلُّ شيءٍ من حولهم.. كأنَّ الجاذبية أخذتْ إجازة طارئة فانقلبت الأمكنة.. يبدو أنَّهم في «عالم المفاجآت» وليس فقط في «عالم العجائب».

وجدَ كريم نفسَـــــه معلقًا في الفراغ، ثمَّ سقط.. أو بالأحرى، طارَ إلى الأعلى! السقفُ أصبح أرضًا، والأرضُ أصبحت سقفًا، والجدرانُ تدورُ مثلَ لعبةٍ في مدينة الملاهي.

فكَّر: "حينَ يختلُّ كلُّ شيءٍ من حولي، ربَّما تكونُ الفرصَة سانِحةً لاختبر توازني الداخلي.. ما دامَ عقلي ثابتًا، فلا فرقَ عندي ما إذا كان السَّقفُ أرضًا أو الأرضُ سقفًا".

وفيما هو يفكِّر تعثَّر وسقط، أو بالأحرى - أو ربَّما - طارَ إلى الأرض، فلا أحد يبدو متأكِّدًا منَ الاتجاهات.. قال وهو يحاول الوقوفَ على ما يشبه السقف: "مَن وضع قوانينَ الفيزياء في وضعِ الجنون؟".

صوتُه بدا مضطربًا، لكنَّه بفضل فضولِه وتوازنه وثقته بنفسِـــــه تغلَّب على خوفِه.. زيتونة، التي كانتْ تتدلى رأسًا على عقب، تشبثتْ بعصاها ولوحِها، لكنَّها حتى في ذُعرهـــــا، لم تفقدْ روحَها المرحة.. وصاحت: "أينَ الـ.. فوق؟ بل أينَ الـ.. تحت؟ لماذا نعلك على رأسي؟ أأنا صندوق أحذية؟".

زيتون، الذي كان يطفو بسكونٍ كأنَّه معتادٌ على هذا الوضع، أمسك بلحيته وشـــــدَّها بقوة للأســـــفل، ثمَّ قالَ بنبرة هادئة وحكيمة، كمرشدٍ يعرفُ طريقه: "مرحبًا بكم في أرضِ الألغاز المتشقلبة، حيثُ كل شيء بالمقلوب.. بما في ذلكَ توقعاتكم.. حتى أفكاركم يجبُ أنْ تنقلبَ لنكتشـــــفَ الحلَّ، لذا علينا التفكير بالمعكوس".

نظروا حولهم.. المشهدُ يبدو كفوضى ساحرة.. رأى كريم لوحةً تعكسُ صورته وهو يمشي بثقة، ثم تتحولُ إلى صورته وهو على كرسيه المتحرك في المكتبة، ثمَّ تعودُ إلى صورتِـــــه الحالية.. الأحجارُ كانت تطفو كبالونات معبَّأة بغازٍ طيار.. الجدرانُ مغطاة بلوحاتٍ تتبدَّل صورها من حينٍ لآخر.. دجاجة ترتدي نظارةً حمراء.. كعكة بلونِ المشمش.. بقرة حمراء ترتدي سروالًا من قماشٍ وسترةً جلدية فاخرة..

كلُّ شيءٍ كان يضحكُ ويـــــغني بكلماتٍ مقلوبة.. وعلى أحدِ الجدران قرأ لافتة بحروف برَّاقة: «مَن أراد أنْ يرى، فليغمضْ عينيه.. ومَنْ يحبُّ الأحلامَ لا ينام».

قال كريم: "ما هذا الجنون؛ كيف أرى وأنا مغمضُ العينين؟ ومَن ذا الذي يقرأ كتابًا بعينين مغمضتين، ربَّما بلغة «برايل»؟! ومَن يحلمُ وهو صاحٍ.. لعله يقصد أحلام اليقظة.. هههههه".

قال زيتون: "اقنعْ بما تسمَع.. ربما المقصودُ أنْ نرى بما يشبه العينين، وليس بالعينين الحقيقيتين.. تذكرْ أنَّ المنطق هنا عدو، والجهل أكثر من صديق".

ثم قال: "جرِّبْ أنْ تغمضَ عينيك، قد ترى ما لا تراهُ وهما مفتوحتان".

أغمضَ كريم عينيهِ بحذر، متوقِّعًا أنْ يصطدمَ بجدار.. فكلُّ شيءٍ هنا معكوس وجائز.. انفتحتْ أمامَه رؤية واضحة في عقلِه، كأنَّه يرى أحلامَه الداخلية بجلاء وصفاء.. لمحَ في خيالِـــه صورةً واضحة: بابٌ أجوف وراءَ صخرة منحوتةٍ على شكلِ فأرٍ يضحك.. كانَ البابُ ينبضُ بضـــوءٍ خافتٍ ثمَّ يختفي ثمَّ يعود، كأنَّه إشارة ضوئية للفتِ انتباهه إلى أمرٍ ما.. فتحَ عينيه وأشارَ بيده وقال: "يوجد بابٌ خلفَ تلك الصخرة.. رأيتُه عندما أغمضت عيني".

اقتربوا بهدوء، التفوا من وراء الصَّخرة فشاهدوا الباب واضحًا كقرصِ الشمس في منتصف النَّهار، كانَ صغيرًا، مزينًا بنقوش تشبهُ فقاعات الصابون، بدا كأنَّه كانَ ينتظرهم طوال الوقت، دفعوه بهدوء، فانفتح بسهولة، عبروا منْ خِلالِه فوجدوا أنفسَـــهم داخلَ غرفةٍ واسعةٍ، ملأى بصحونٍ تطير في حلقة دائرية صغيرة فوق مائدة تتوسط الغرفة..

الصُّحون كانت تتراقصُ وهي تدور في الهواء، يصدم بعضها بعضًا، فيصدر منها رنينٌ موسيقي ساحرباهر.. قالت زيتونة، وهي بكامل لياقتها: "الأمرُسهلٌ.. أرأيتم؟".

لكنْ، وقبل أنْ تنهي جملتها؛ انشقَّ أحد جدران الغرفة وظهرت مرآةٌ ضخمة، لها شاربان كثيفان وفمٌ كبير وعينان تلمعان، وظهرَ من خلفها خمسة طيور، كل طيرٍ بشكل وحجم ولون مختلف.. صاحتْ بصوتٍ مســـــرحي: "لا أحد يستطيعُ اكتشافَ الحلّ دونَ لغز.. أعرفِّكم بنفسي أوَّلًا، أنا نورة، ملكة الطيور".

اهتزَّتِ الغرفةُ مع صوتِها، وشعرَ كريم بأنَّ التحدي الحقيقي على وشك أنْ يبدأ.. قالت: "طيرٌ واحد فقط يقولُ الحقيقة، والبقية كاذبون.. اكتشفوهم، وإلا ستبقون هنا، وسأجعلكم تنظفونَ أجنحة الطيور ومناقيرها ومخالبها إلى الأبد".

كانَ تهديدها مسليًّا، لكنَّه جاد ولاذِع.. وبدأتِ الطيور تغرِّد..

قالَ الأوَّل: "الثاني يقولُ الحقيقة".

الثاني بهدوء: "الخامس كاذب".

الثالث بريبة: "لستُ صادقًا".

الرابع بثقة: "الثالث كاذبٌ أصيل".

الخامس بتعجرف: "الأوَّل يكذبُ دائمًا".

شعر كريمُ بأنَّ دماغه ســـــينفجر.. رفع ريشته المتوهجة وكتبَ على الهواء: «الألغاز المنطقية أصعب من كلِّ التحديات السابقة».

جلسَ على الأرض وبدأ يفكر.. رفعَ الريشـــــة المتوهجة وبدأ يرسمُ مخططًا

للعلاقات بين الطيور.. زيتونة كانت هي أيضًا ترســـــمُ دوائر في الهواء بعصاها، لكنها تمتمتْ بغيظ واضح: "ربَّما نصيدُ الطيور وننتهي".

قال زيتون بلطفٍ شديد: "ذلك سيجعلُ الأمرَ أسوأ.. لنفكِّر بهدوء.. طيرٌ واحد صادق".

أغمضَ كريم عينيه مرَّة أخرى، محاولًا تذكر أيَّ شيءٍ من دروس المنطق التي كان يتجاهلها عادةً.. فكَّر: "الثالث يقول إنَّه ليس هو الصادق.. فإذا كانَ صادقًا فهو يكذب، هذا تناقض.. إذن الثالث هو الكاذب".

ثمَّ تابع: "الرابع يقـــــولُ إنَّ الثالث يكذب، وهو صحيح.. لنرى إنَّ كانَ ذلك ينسجمُ".

بعد لحظات، ابتسمَ وقالَ بصوتٍ مدوٍّ واثقٍ هذه المرَّة: "الرابع يقول الحقيقة". صاحَ الرابع بسعادة: "أخيرًا.. شخصٌ ذكيٌّ يحبُّ المزاح.. أحسنتَ يا فتى".

وعلى الفورِ تحولتْ جميعُ الطيورِ إلى ســـــحبٍ دخانية ملوَّنة ثمَّ تلاشتْ، ولم يبقَ منها سوى الطائر الرابع وحدَه.. طار وحلَّق نحوَ كريم، واستقرَّ في يده على شكل بطاقة كريســـــتال عليها رمز قطَّة، لا يدري إنْ كانت باسِمةً أو عابسة، فتساءل: "ما سرُّ هذه القطة؟".

تنهَّد زيتون وقال: "لا يهم.. المهم أننا اكتشفنا لغزًا واحدًا حتى الآن، بقي لغزان، والطريق يزداد غرابة. اللغز التالي في مملكة الأحلام المعلبة".

وضع كريم بطاقة الطائر في حقيبة ظهر صغيرة يحملها، وتوجهوا جميعًا نحو مملكة الأحلام وهم يســـــتعدون لخوضِ مغامرة جديدة.. شعرَ كريم بثقةٍ

جديدة، فابتسم حتى ظهرت جميع أسنانه، لقد هزم لغزًا منطقيًّا صعبًا، وراح يفكِّر بكل ما حدث، والفرح يملأ كيانه.. فســـمع قلبه يهمس له: "ألم يكن المزاح يورطك دومًا؟ اليوم صارَ تفكيرك أعمق من أيِّ طرفة.. ها أنتَ تضحك، لكنَّ ضحكتك هذه ليست هروبًا من واقع مجهول، بلْ لأنك فهمتَ قدرك.. وأكبر انتصار هو أنْ تضحك وأنت تعرف لماذا تضحك".

وبعد مسافةٍ قصيرة ظهرت مرآة صغيرة ترتدي قبعةَ راعي بقر، قفزت وصرخت: "أنا مرآة المقالبِ السخيفة، انظروا إليَّ وستصبحونَ دجاجات راقصة".

ضحكَ كريم وكادَ يســـقط في حفرةٍ هلامية، لكنَّه قرَّر تحدي المرآة، نظرَ إليها وقال متهكمًا: "إذا أصبحتُ دجاجة سأرقصُ بشكل أفضل"..

عندها تحولت المرآة إلى دجاجة ترتدي نظارات شمســـية، وبدأت ترقص بجنون، فقالت زيتونة: "هذا أفضل من حفلة المعكرونة".

الدجاجة أهدتْ كريم ريشةً سحرية مكتوب عليها: «بطل الجرأة».. شعرَ كريم بأنَّ مواجهة المخـــاوفِ بالضحك تجعل كلَّ شيء ممكنًا.. وعادت المرآة إلى شكلها الحقيقي وهمستْ لكريم: "احذرْ.. الكهفُ مزدحم بالمفاجآت".

تحذيرها كان غامضًا لكنَّه صادق.

في تلك اللحظة ســـقطتْ كعكة ضخمة منَ السَّـــقف، مغطاة بالكريمة، وصاحت: "مَن يأكلني يصبح ملك الضحك".

قفزت زيتونة نحوها، فهربت وهي تدندن: "لن تستطيعي، فأنا كعكة السرعة".

قال كريم: "فعلًا.. إنَّ الفكاهة والمفاجآت تحوِّلان أي تحدٍّ إلى مغامرة ماتعة".

المشهد السابع
مملكة الأحلام

خرج كريم وزيتونة وزيتون من وادي الألغاز المُتشـــــقلبةِ بشعورِ المُنتصِر.. كانتْ بطاقة الطير في حقيبةِ كريـــــم تهمسُ له بلطف، وتذكره بأنَّه قادر على فعلِ المستحيل.. ســـــاروا مدة ثم توقفوا على تلةٍ من العشبِ الإسفنجي الناعم.. نظروا نحوَ الأفق.. وفيما هم يراقبون السَّماء وهي تبدِّل ألوانَها منَ الطيفِ الأزرق الفيروزي إلى البنفسجي الفاقع، كأنَّ الكونَ يرسمُ لوحةً ترحيبية خاصَّة بهم.. اهتزَّت بطاقة الطير داخلَ الحقيبة..

فتح كريم الحقيبة، أخرجَ البطاقة ونظر في عيني الطير، رآه يغمضُ عينًا ويفتح أخرى، مرة تلو المرة، في ومضاتٍ ضوئيةٍ صغيرة، كأنَّه يرسلُ تحذيرًا غامضًا.. أعادَ البطاقة إلى الحقيبة وأغلقها، ثم وضَعها على ظهرِه بحذَر، وقال: "هيَّا بنا إلى مملكةِ الأحلام.. تبدو كأنَّها متجرٌ لبيعِ الأعاجيب.. لكنْ أي أحلام هذه التي تحتاج إلى أن تُعلَّب؟".

ضحكتْ زيتونة فيما كانت تقفزُ على العشـــــبِ وتصدرُ أصواتًا مع كل قفزة، وقالت: "الأحلام المُعلبة أجملُ من تلكَ التي تأتي وحدها، صحيحٌ أنَّ ثمنها باهظ، لكنَّها لا تحتوي على مخاوفنا".

نفض زيتون لحيته من فتاتِ قطعةِ بســـــكويت تناولها خلسة، ثمَّ قال بنبرة جادة، كأنه يتحدثُ عن خطر حقيقي: "مملكة الأحلام فضاء من خيالِ ساحر، لكنَّ الملك نائم منذ ألفِ سنة ويزيد، وقد تكون أحلامُه هي التي تحكم هذا المكان الآن، علينـــــا إيقاظه بطريقةٍ صحيحةٍ وإلا تحوَّلنا إلى كومةٍ منَ حلوى القطن الملون".

قهقه كريم وقال مازحًا، محاولًا إخفاء قلقـــــه من المصير الغريب الآتي: "يا للروعة.. لعلهم يصنعونَ مني ملابـــــس قطنية فاخرة.. لكني لا أريدُ أنْ أكونَ قميصًا داخليًّا"..

ضحكَ الثلاثة قبلَ أن يركبوا عربة جديدة تجرُّها دودة عملاقة أخرى، تغطي عينيها بنظارة ســـــوداء وتغنّي بصوت جميل أغنية مطلعها: "يا كيكة الفوز.. بزبدة الفســـــتقِ وطعم الموز.. فيها لوز.. فيها جوز". الأغنية كانت كأنها رسالةً خاصة، بعثتْ قليلًا من الاطمئنان إلى نفس كريم.

مرَّت العربة عبرَ غابةٍ من جدائل غليظة من حبالِ المعكرونة الملونة.. كانت الجدائلُ تتمايلُ وتغني بأصواتٍ عالية، فوضعَ كريم يديه على أذنيه وقال: "هلْ يمكنُ خفض هذا الصوت.. كأني في حفلةٍ صاخبة".

أخرجتْ زيتونة ورقـــــة مطوية على شكل فطيرة، كانت الورقة ترنّم.. جحظتْ عينا كريم عندما سمِعَ صوت الورقة.. وقال بدهشة: "إنَّها تغني.. يا للعجب!".

ردَّت زيتونة بابتسامة عريضة: "يا لك من ولدٍ مضجر.. أتعني أنَّ كل ما مضى لم يكن عجبًا!".

ظل كريم صامتًا فتابعت زيتونة كلامها: "إنَّها ورقة ذكية ترشدني نحو الأماكنِ التي أريـــدُ الذَّهابَ إليها، فإذا أعجبتها وجهتي تفرَحُ وتغني، وإذا لم تعجبْها تهتزُّ وترتج وتصْدِر أصواتًا محذرة، وربما قضمَت أصابعي، ولحسن الحظ أنَّها تحبُّ مملكة الأحلام".

بعد ساعةٍ من السَّير الحثيثِ عبر تلال من الكراميل، وواحاتٍ من حلو اللبن، وسهولٍ من «الكاستر»، وجسور من الكنافةِ بالقشدة والفستق المبروش... وصلوا إلى بوابة ذهبية ضخمة، تعلوها لافتة مكتوب عليها بحبر مشـــع: «مرحبًا بكم في مملكـــةِ الأحلام المعلَّبة.. حذارِ من فتح العلبة الخطأ.. اختزْ حلمك بحكمة، فبعضُها قد لا ترغب في الخروجَ منه، أو ربَّما في الحلم به أبدًا».

دخلوا فوجدوا أنفسَهم في ســـوقٍ عجيب يعجُّ بحركة مثل سوق عكاظ.. أكشـــاكٌ ملونة تبيعُ علبًا صغيرة فاخرة لأحلام منوعة، مثل: الطيران فوق قوس قزح - كوكب البطيخ المشاكس - نملة عملاقة تسبح في ينبوع من مربى المشمش..

تمتم كريم وهو يتأمل الأكشاك والأحلامَ التي في العلب: "يا ليت حُلمي سلعة تُباع، كنتُ اشتريته بأغلى الأثمان، لكني أعيشُ حلمًا غير موجود في الأكشاك ولا في غيرها، أحياهُ وأنا صاحٍ.. فهو لا يُشترى ولا يُباع".

البائعون كانوا ينادون ويتنافســـون بشراسة، كأنهم يبيعون أحجارًا كريمة: "اشـــترِ حلمًا واحصل على آخر مجانًا - حلمٌ باليد ولا عشرة على المخدة - حلم جميل بنكهةِ البطيخ الأصفر.. عـــرضٌ محدود - اغتنم الفرصة.. ثلاثة أحلام بسعر حلم واحد".

توقفتْ زيتونة أمام كشكٍ جميل وقرأت: "حلم جنِّية لا تنام".

عيناها تألقتا بفضول وكادت تشتريه، لكن زيتون سحبَها من يدِها إلى الخلف وقال: "لسنا هنا للســـــياحة.. اتبعيني ولا تلمسي شيئًا.. بعض هذه الأحلام مصيدة للعقول".

قالت: "لكنني أريد حلمًا صغيرًا".

كانتْ تشتكي كطفلة حُرمتْ من قطعةِ حلوى لذيذة.. فبرَّق لها بعينيه وقال: "ستحلمينَ بعلْقةٍ ساخنةٍ إذا لم تتحركي"..

تهديده كانَ شديدًا لأول مرة.. لكنه تركَ أثرًا فعالًا.

تسللوا عبر السُّـــــوق متجنبين بائعًا لحق بهم محاولًا إقناعهم بشراء "حلم معطف صوف ضائع في ليلةِ شتاء باردة"، بدا عليه اليأس، كأنَّه لم يبع حلمًا واحدًا منذ فترة طويلة.. فعلق زيتون تعليقًا ساخرًا جعل كريم يضحك: "لم يبقَ غير المعطف ليحلم".

وبســـــرعة وصلوا إلى قصر الملك بسلام.. بناء ضخم منَ الحلوى المنوعة والملونة، تحيطُ به أعمدة منَ الكراميل، وتغطيه مظلات منْ غيوم ناعمة.. الحرس، وهم مجموعة من كعك السمسم المحلَّى بالعسل، كانوا نائمين ويصدرونَ خرخرة تهز الجدران..

قال كريم بصوت هامس: "يا للغرابة.. حراس من كعك؟".

ردت زيتونة: "لا تثرْ ضجَّة، إنَّهم أقوى مما تظن.. وهم يفزعون جدًّا من الغرباء".
زيتون محذرًا: "يبدون لطفاء.. لكنهم خطيرون".

كلامُهما جعلَ كريم يمشي بحذرٍ أكبر، لكنَّه لم يســـتطع منعَ نفســـه من التعليق بصوت منخفض: "منظرهم رائع.. أشـــتهي أكلهم بعدَ تغميسهم بحليبٍ ساخن مع قليل من الشوفان المحمَّص".

وضعتْ زيتونة يدَها على فمِه وهمَســـت: "أمجنونٌ أنت؟! اســـكتْ كي لا يسمعوك، ولا تفكرْ بذلك أيضًا، فهم قد يقرأون الأفكار".
تحذيرها جعله يشعرُ كأنَّ عقله لم يعدْ آمنًا..

تسللوا إلى داخل القصر فوجدوا كل شيءٍ ساكنًا.. غيرَ أنَّ بلاط القصر صار يئزُّ مع كل خطوة، كأنَّه ينبِّه مَن هم في الداخل: "إززززز".. أمَّا الثرياتُ المصنوعة من حبيباتِ سكر متلألئة فبدأت تهمهم مُستغربة... كأنَّهم دخلوا منزلًا نائمًا واستيقظَ فجأة على صوت خطواتهم.

المشهد الثامن
حلم لا ينام صاحبه

في منتصفِ القاعة الكبرى كانَ الملكُ نائمًا على سرير واسع، على رأسِه قبعة غريبة، وفوقه غلالة بيضاء تحيط بالسرير، مكتوب عليها: "مَنْ يُوقِظُنِي يَجِبْ أَنْ يَسْتَيْقِظَ هُوَ أَوَّلًا".

كانت الغلالة تُضيء بنورٍ خافت، كأنَّها حاجزٌ بين عالمين.. مكتوب عليها أيضًا: "الإجابةُ الصَّحيحةُ ستوقظني: مَا الحُلمُ الذِي لا ينامُ صاحِبُهُ؟".

تجمَّـــد كريم في مكانه: "أعتقدُ أني قرأتُ هذا الســـؤال في كتاب قديم، إنَّه يشبهني، فأحلامي لا تنام، حتى عندما أكونُ مستيقظًا".

همستْ زيتونة: "إنه الجاثوم؟".

كريم: "مطلقًا، الجاثوم يجعلني أصرخ، إنَّه ليس حلمًا، وصاحبه ينام".

زيتونة بهدوء: "إذنْ.. لعله حلم اليقظة؟ ربما".

زيتون: "هذا اللغـــزُ أعمقُ مما نظن، إنَّه ليس مجرَّد كلمات، بل هو بابٌ إلى وعي الملك، وأعتقد أنَّه لغز قديم، فكِّر يا كريم.. فكِّرا".

أخذَ كريم نفسًا عميقًا.. عصرَ ذاكرته.. راودته بعضُ الصُّور.. تذكَّر أنَّه كانَ يحلم بأنْ يصبح مؤلِّفًا خياليًّا مرموقًا.. تذكّر كلَّ الليالي التي كانَ يحلم فيها بأنَّه يركض ويلعبُ ويطير... أحلامٌ تظل حيَّة فيه حتى بعد أن يفتحَ عينيه.

صمتٌ ثقيلٌ ســـاد القاعة.. فكَّر كريم: "ها أنا ذا، لم أعد ذلك الصبي الذي يمزحُ ليخفي خوفَه، لأنّي بتُّ أؤمنُ بغدٍ يستحقُّ أنْ أعودَ لأكتبَ وأرسم قصتي بنفسي".

حنى كريم رأسه وقال بتوقير وإجلال: "الحلمُ الذي لا ينامُ صاحبه - يا سيدي النائم - هو الحلمُ الذي يعيش في القلب، هـــو الذي يبقى صاحِيًا في قلب الإنسان، وهو حلمُ المستقبل، حلم لا يحتاجُ إلى نوم ليحضر، يبقى حيًّا حتى عندما تكون العينان مفتوحتين، إنه حلمُ التغيير، حلمُ الأمل، إنَّه الحلمُ الذي يصنع المستقبل".

وما إنْ أتمَّ كلامـــه حتى اهتزَّت القاعة وعصفتِ الألوانُ بالمكان.. كأنَّ كلماته كانت مفتاحًا ســـحريًّا.. وفي لحظةٍ واحدة، تبدَّدت الغلالة البيضاء، وتحولتْ إلى فراشات من نور تطير في أنحاء القاعة، وتحرَّك الملك وجلسَ على طرفِ السَّـــرير، ثمَّ وقفَ يتمطَّى، داعكًا عينيه الناعستين.. كان كهلًا طويلًا رشيقًا، بعينين وســـانتين ولباس نوم مزركش، وفي يده كوب قهوةٍ مكتوب عليه: «أفضلُ ملك نائم في عالم العجائـــب»، وعلى الجانب الآخر من الكوب: «أنا أحلم.. إذنْ أنا موجود».

تمطَّى الملك مرة أخرى وقال: "أخيرًا... جاء مَن يفهم طبيعة الأحلام الحقيقية، أحلامُنا لا تنام لأنَّها ليست هروبًا من الواقع، بل هي وقودٌ له".

ثم نظرَ إلى كريم مباشـــــرة وقال بعد أنْ قـــــرأ أفكاره: "أنتَ لا تحلم بالمشي فحسب.. أنتَ تحلم بأن تكون كاملًا.. وهذا أجمل حلمٍ على الإطلاق، اطمئنْ، إجابتك صائبة، لقد سئمتُ انتظار وصول الأذكياء، فأهلًا بكم يا قوم، مَنْ أنتم وماذا تريدون؟ لكنْ.. قبلَ كل ذلك؛ هل أحضرتم معكم طعامًا شـــــهيًّا.. فأنا أشعرُ بالجوع؟".

ابتســـــم زيتون وأعطاه شطيرةَ تفاحٍ بالعسل كانَ يحتفظ بها في حقيبته، ثم شرحَ له المهمَّة، وطلبَ منه البطاقة الثانية، فقالَ الملكُ بلا مبالاة: "آآآآآه.. للأسف.. كنت قد خبَّأتها في كيسِ وسادتي، لكنَّها اختفت مع الوسادة عندما طرتُ بالحلم مع سربٍ من الفيلة، أعتذرُ إليكم بشدة".

قالَ كريم بإحباط: "اختفتْ؟ يا للهول.. لكن كيفَ يختفي الواقعُ في الحلم؟ شيءٌ عجيب!!".

ابتسمَ الملكُ وقال ضاحكًا: "العجيب أنَّك تتحدثُ عنِ الواقع.. أنسيتَ أنَّك في «عالمِ العجائب»، هنا الحلمُ هو الواقع الأوضح".

ثمَّ ضغطَ زرًّا على قبعتِه، فظهرتْ دوَّامة شفطت الجميعَ إلى داخلها.. فوجدوا أنفسَهم في عالم منَ النجوم الهلامية، مع خيولٍ بستِّ أرجلٍ وأجنحةٍ كبيرة تتسابق كأنَّها في مضمار سباقٍ سماوي.. كانوا داخلَ حلم الملك.

قالت زيتونة بحماســـــة: "أحببتُ هذا الحلـــــم المَجنون.. كأنَّه خُرافة وسَط أسطورة".

شاهدوا ساعة بهيئةٍ طريفة ترتدي ثيابَ مهرّج، تلوّح بشرائط ملونة، تقومُ بحركات تشجيعية وبهلوانية هزلية، وقالت لهم: "تأخرتم عنِ الموعد.. الأحلامُ لا تنتظر أحدًا.. أهكذا أنتم دائمًا؟!".

وجدَ كريم نفسَـــــه راكِبًا فرسًا بأجنحة بيضاء، تخرجُ من أنْفِها فقاعاتٍ كلَّما صهلت.. تأمَّل المكان منْ حوله، ومن بعيد شـــــاهد نسرًا يطيرُ بسرعة خاطفة، يلتقط بمخالبه وســـــادة بيضاء، يتدلى من داخلها طرفُ البطاقة التي يبحثون عنها.

حثَّ فرسَـــــه على اللحاقِ به.. تمكَّنَ منَ الوصولِ إليه بعدَ مطاردة مثيرة، وانتزعَ البطاقة الثانية من قلبِ الوســـــادة، كانت عبارةً عن قطعةِ فضَّة برمز قلبٍ ينبض بالنور، عندما لمسَـــــها شعر بدفء يغمره، كأنَّه يحمل قطعةً من الشجاعة.

ولمـــــا أصبحتِ البطاقة بين يديه قذفهم الحلمُ خارجًا، فوجدوا أنفســـــهم مركومين فوقَ بعضهم بعضًا، في زاويـــــةِ القاعة، في وعاءٍ كبير مملوء بزبدة الفستق الشهية.

ضحكَ الملك عندما رآهم بمنظرهم هذا، وقد غطسوا في زبدةِ الفستق، وكانَ لا يزالُ يحتسي قهوتَه السَّاخنة، قالَ لهم: "مباركٌ لكم الفوزَ بجدارة.. الأحلام لا تُهدى، بل تُؤخذ بجسَارة، تذكروا: الحلم الحقيقي هو الذي يوقظك، لا الذي ينامُ بك.. والآن اسمحوا لي.. أريد العودة إلى سريري لأنام، لا تزعجوني مرَّة أخرى".
ثم ضحكَ وقال: "يمكنكم العودَة بعدَ ألفِ عام".

ولم ينتظرِ الملك منهم ردًّا وغاصَ في نومٍ عميق، وهو يشعرُ بالرضا والراحة التامة.. كأنَّه قد أدَّى دورَه كاملًا.

نظرَ كريم إلى البطاقتين معًا، وقال: "الثالثة سوف نجدها في المكانِ الذي لا يوجدُ فيه شيء".

زيتونة: "لا مشكلة يا فتى.. إذا لم يكنْ هناك شيء فلا نملكُ ما نَخسره".
عبسَ زيتون، يبدو أنَّه تنبَّـــه متأخرًا، همس: "آه، لا.. ليس ذلك المكان، إنَّه ليس لا شيء بالمعنى الحرفي، إنَّه النسيان".

يبدو أنَّه كانَ خائفًا من شيء ما لكنَّه لـــم يفصحْ عنه.. كان خوفه واضحًا للمرَّةِ الأولى.

وفيما هم يغادرون، قطعتْ علبة أحلامٍ ضخمة ترتدي قبعةَ ساحر الطريقَ أمام كريم، وقالت له: "أنا مذهلة.. جرّبني ولنْ تخســـر، سوف تحلمُ بأنَّك تقرمش شريحة بطاطس مقلية بنكهةِ الفلفل الحار".

ضحكَ كريم وقرَّر المحاولة.. فتحَ العلبة، فطار منها جوربان يغنيان أغنية عن «البطاطس المقرمشة».. أمسكت زيتونة بأحد الجوربين وهتفتْ: "هذا أسوأ من نكاتي".

كريم - بدلًا من الاستسلام - أمســـك بالجورب الثاني وقال ضاحكًا: "حتى الجوارب تستحقُّ فرصةً لتبدي رأيها بصراحة".

فتحوَّل الجوربُ إلى ميداليةٍ لامعة مكتوب عليها: «بطل التسامح».. عندها شعرَ كريم بأنَّ المثابرةَ والتسامحَ يمكنهما تحويل الضعفِ إلى قوةٍ، والعجز إلى انتصار، والإعاقة إلى قدرة وتميز.

صادفَ كريم فجأة أمامه شجرةً برائحة «البيتزا» الطازجة.. اقتربَ منها فحاولت سرقة حقيبته. صاحَ: "شيء غير معقول.. الحلمُ يريد أنْ يصبح لصًّا".

تشبثَ بحقيبته جيّدًا، فضحكتِ الشجرة واعتذرت إليه فسامحها.. فأهدته ورقة ذكية تغني: "المثابرة مفتاحُ كل حلـــــم".. وأخبرته أنَّها كانت تختبرُ قوَّة انتباهه ورجاحَة عقله.. وقالت: "التســـــامحُ يفتح القلوب، والمثابرة تجعلُ الأحلامَ حقيقة، حتى لو كانتْ على كرسي متحرك أو بعكَّاز من حديدٍ صلب".

المشهد التاسع
سيد النسيان وجسر المانجو

لاحظَ كريم أنَّ زيتون أصبح أكثر صمتًا.. كانَ صمته ثقيلًا، ينذر بخطرٍ لم يعدْ قادرًا على إخفائـــــه.. فكَّر كريم: "الصمتُ ثقيلٌ لكنَّه يكونُ أحيانًا أصدق تعبيرًا من الثرثرة، فكمْ من مـــــرَّةٍ ضحكتُ بصوتٍ عالٍ وأنا في داخلي أبكي! حقًّا.. إنَّ الصَّمتَ أبلغ منْ كل الكلمات".

صعدوا جســـــرًا شـــــفَّافًا فوقَ بحرٍ من عصيرِ المانجو الفوَّار.. رأى حبَّاتِ مانجو تطفو في الهواءِ بلا أجنحة.. زيتونة حاولتْ التقاط واحدةٍ منها، لكنَّها انفجرتْ ولطَّختْ وجهها بالعصارة.. مسحتِ العصارة براحة يدِها ثمَّ قالتْ وهي تلعق أصابعهـــــا: "طعمها لذيذ.. لكنَّها لزجةٌ جدًّا.. كأنَّها تريدُ أن تذكِّرني بأشياء أُفَضِّلُ نسيانَها".

ضحكَ كريم وشعرَ بالشَّبعِ منْ هذا المنظر رغمَ أنَّه لا يستطيع التهامَ شيء منهـــــا.. تنبَّه فجأة إلى أنَّ الزمنَ توقف.. امتنعتْ حبات المانجو عن الطفو في الهواء.. وتوقفت الدودةُ عن الحركـــــة.. وتجمَّدت زيتونة عالقة في منتصفِ قفزة.. وجهها تحدَّد في تعابير مضحكة.. العالم كله قد توقف باستثناءِ كريم.

تلفَّت كريم من حولِه وقلبُه يرتعد منَ الدَّهشـــــة الرَّهبة.. فهو الوحيد الذي ظلَّ يتحرك: "هل داسَ أحدُهم على زرِّ الإيقاف؟".

ظهرَ شقٌّ في الهواء كأنَّ الحلمَ يتمزَّق.. خرجَ من خلال الشقِّ مخلوقٌ يشبه ظلًّا حيًّا بعيون وردية تتوهج، وصوتٍ حنون يطربُ القلوب: "أخيرًا وجدتكَ يا كريم.. أنتَ المفتاح"..

كريم: "مَن أنتَ؟".

أجابه: "أنا سيدُ النسيان، حارسُ الظلام، غريمُ مَن يحاول استعادة شيءٍ ضائع، وخصيمُ مَنْ يعبثُ بالمسافات ما بينَ الواقع والخيالِ".

كانَ صوته كالموســـــيقا التي تذكِّر مَن حوله بذكرياتٍ كانوا يعتقدون أنَّهم نسوها.. استطاع زيتون التحرُّر بخبرته السابقة وقال: "ابتعدْ يا سيِّد النسيان، هذا الفتى بريء لا شأنَ له بما تفكِّر به".

عندها تغيرتْ نبرةُ صوته وهدرَ كالرعد: "على العكس تمامًا، هو لهُ كل الشأن؛ إنَّه المفتاح الأخير والفرصة الوحيدة لإعادة التوازن.. أو سيحلُّ الخرابُ التام، «عالم العجائب» وعالم الواقع أصبحا متداخلين بسببِ فضوله".

شعرَ كريم بارتباكٍ شديد وتململ: "أنا لستُ بطلًا ولا أريد أنْ أكون.. أريدُ فقط العودة من حيث أتيت".

بسط سيدُ النســـــيان يده، فبدأت البطاقتان في حقيبة كريم تهتزان، كأنَّهما تريدان الفرار.. شدَّ كريم يدَيه على الحقيبة زيادة في الحرص، لكنَّ هلالة سوداء

بدأت تلتفُّ حول رقبته.. أطلقَ صرخة مدويَّة تبدَّدت على إثرها الهلالة وتحرَّرتْ زيتونة من تجمّدها، وصاحت بسيّدِ النسيان بغضب شديد: "ابتعدْ عنه يا صاحبَ الصوت المضجر".

هزَّت عصاها فانطلقتْ منها نجـــومٌ وفقاعات ضاحكة، تطايرت وارتطمت بوجهه، فتراجعَ وهو يتأفَّفُ: "أكره الضحك.. إنه سلاحٌ غير عادل".

صاحَ زيتون: "الآن.. بســـرعة يا كريم.. استخدمِ البطاقتين معًا، وجههما نحو السماء.. هاتان البطاقتان تمثلانِ الحكمة والشجاعة".

أخرج كريم البطاقتين ورفعهما إلى الأعلى.. أطلقتا شعاعًا قويًّا اخترقَ الظلامَ، ودفعَ سيد النسيان عبرَ الشقِّ الذي جاء منه، وقبلَ أنْ يختفي، صاحَ قائلًا: "لن تجدوا البطاقةَ الثالثة في المكان الذي لا يوجدُ فيه شيء.. فلا يمكنُ لأحدٍ أنْ يعود منه".

كانتْ كلماتُه الأخيرة كالنبوءةِ المرعبـــة.. ثم عادَ الزمنُ إلى طبيعته، وانهارت زيتونة على الأرض، تمسحُ جبينَها ووجهها من العرق وبقايا عصارة المانجو اللزجة: "كان هذا مجهدًا.. نحتاجُ إلى استراحة".

قال كريمُ وهو يرتجف: "ما الذي كان يريده مني؟ لماذا أنا المفتاح؟".

تنهَّد زيتون وقال: "توجد أسرارٌ لا ضرورة لتعرفها الآن، «عالم العجائب» ليسَ مجرَّد عالم خيالي، بلْ هو جســـرٌ بين الواقع والخيال، وسيدُ النسيان يريد قطعَ هذا الجســـر، لأنَّ الخيال الحرَّ يشكلُ خطرًا على سلطته، كما أنَّ «عالم العجائب» مركز التوازن، وســـيدُ النسيان يريد محوه، وأنتَ، كما يبدو، مهمٌّ للغاية في هذا المجال".

كلماته كانت ثقيلةً على كريم، وبدا كأنَّه يحملُ أسرارَ الكون على كتفيه.

وقفتْ زيتونة ولوَّحت بعصاها مجدَّدًا: "حســـــنًا، يكفي كلامًا، هيا لنذهبْ إلى المكانِ الذي لا يوجدُ فيهِ شيء، ولنثبت له أنَّنا شيءٌ عظيم جدًّا".

قال كريم: "إذا كان هذا طريق العودة، سأمشيه حتى لو كانَ مملوءًا بالأخطار، لأنني تعلمتُ أنَّ الخيالَ ليس هروبًا، بل هو الشجاعة نفسها".

انطلقَ الثلاثة على عربةِ الدودةِ عبرَ طريق يتلاشى تدريجيًّا، كلما مشـــــوا فيه تبخَّر.. توجَّهوا بثقة نحو مكانٍ لا يوجدُ فيه معالم.. لا أرض ولا سماء ولا حتَّى فكرة... فقد توجهوا إلى الفراغ!

المشهد العاشر
ساحة الأفكار المسروقة

تابعتِ الدودةُ مسيرها، فيما كانت مشاعر كريم وزيتون وزيتونة متداخلة ما بين الإثارة والقلق والترقب.. كانت البطاقتان؛ الكريستال برمز القطة والفضة برمز القلب، تهتزان قليلًا في حقيبة كريم، كأنَّهما تحاولان التعبير عن شيء ما.. تتحدثان بلغة صامتة تحذرانِه من اقتراب الخطر.

الطريقُ بدأتْ تتلاشى، والأرضُ تذوب في فراغٍ لا نهاية له، كانوا يدخلون عالمًا لا تحكمه قوانين الطبيعة.. توقفتِ الدودةُ ونظرتْ بعينين مجهدتين قائلة: "هنا ينتهي دوري.. المكانُ الذي لا يوجدُ فيه شيء ليسَ مكانًا مناسبًا لدودة ضعيفة مثلي".

مسحتْ زيتونة رأسَ الدودة وربَّتتْ على ظهرها بلطفٍ.. ثمَّ أخرجتْ من جيبها قطعة بســـــكويت وقدمتها لها، وقالت: "شكرا يا دودتي العزيزة.. لا تقولي إنَّكِ ضعيفة.. لقد تعبتِ كثيرًا معنا طوال الطريق.. اذهبي الآن وارتاحي يا صديقتي، ونحنُ سنتولى الأمر من هنا".

كانت لمسةً إنسانية في عالمٍ مجنون.. تذكَّر كريم أنَّ اللطفَ لا يموتُ حتى في الفراغ.

ترجَّل الجميع عن العربة.. تأمَّلَ كريم الفراغ.. لا أرض ولا سماء، ولا حتَّى نسمة هواء.. شـــعرَ كأنَّه يغرقُ في قعرِ بئرٍ لا مستقرَّ له.. وبدأ يكتبُ أسئلة في الفراغ برأسِ قلمِ ريشته المتوهجة: "كيف نبحثُ عن شيءٍ في اللاشيء؟ كيف ندركُ الأشياءَ غير الموجودة؟ كيف نواجِهُ الظلَّ بالعدم؟..".

كانت أسئلته تختفي في الفراغ ما إنْ يكملها..

مسَّد زيتون لحيتَه مفكِّرًا بعمق، وقال: "هذا المكان هو القلبُ، هو المركز، هنا مأوى الأشياء المنسية: الأفكار، الأحلام، وحتى النكات السيئة.. لكنِ احذروا... يوجدُ لصٌّ في هذا المكان ليس ودودًا على الإطلاق.. لا يسرقُ الأشياء الثمينة فقط، بل ويسرق معانيها".

كلماته كانت تطيرُ في الهواء ثمَّ تتبخَّر.. رفعتْ زيتونة عصاها السِّحرية وأطلقتْ فقاعة كتبتْ عليها: «لنمضي بثقة».. وقالـــت: "يجب ألا نخشى الفراغَ، فهو صفحة بيضاء نرسم عليها ما نشاء.. وكل فكرةٍ تولدُ هنا تصبحُ حقيقة".

كانتْ تحاولُ إشعالَ شمعةٍ في الظلام.

تقدَّموا بحذر، ومع كلِّ خطوة، كانَ الواقِعُ يزدادُ تلاشيًا؛ لا ألوان.. لا أصوات.. لا روائح.. فجأة، ظهرَ أمامهم مخلوقٌ صغيرٌ بعينٍ واحدة، يرتدي عباءةً من أوراق ممزقة.. كانَ يطفو في الهواء، ويحملُ عصا تشبه قلم رصاصٍ برأس حاد.. قال: "مرحبًا بكم في عالمِ العدم، أنا فرفر حارسُ الأشياء المنسيَّة، إذا أردتم البطاقة الثالثة عليكم اجتيازَ ساحةِ الأفكار المسروقة والنجاة من لصِّ الأفكار".

كانَ صوتُه مثلَ صدى بعيد، يأتي ويذهبُ في كلِّ اتجاه.. فقال كريمٌ بلا اكتراث: "لا مشكلة.. لا أملك كثيرًا منها لأخسره".

حاولَ إخفاءَ خوفه بالسُّخرية، لكنَّ صوته ارتجفَ قليلًا..

ضحكَ فرفر وقال: "لا تطمئنْ كثيرًا، فهو لا يسرقُ أفكارَك فقط، بل ذكرياتك، أحلامك، وحتى نكاتك المفضلة.. احذرْ أن تصبحَ ظلًّا تائهًا.. مثلي تمامًا".

عباءتـــه الممزقة التي كانَ يرتديها كانتْ تـــحكي وحدها قصصَ آلاف الأفكار المفقودة.

قفزتْ زيتونة رافعةً عصاها وقالت: "لا تقلقوا.. ســـأقصفُ هذا اللص بنكتة ساذجة، لكنَّها قوية بشكل لا يُحتمل، لدرجة أنَّه سيهربُ وهو يضحك".

أشـــار فرفر إلى بوابةٍ ضبابيَّة ظهرتْ من عدم، وقال: "حلُّوا اللغز أولًا: شيء بلا بداية ونهاية، يكونُ بلا وجود، يعيش في الماضي والمســـتقبل، لا نراهُ إلا بالقلب.. أقوى من الجميع ولا يغلبه أحد.. فما هو؟".

كانَ يريد باللغز أنْ يتحدَّى وجودَهم نفسه.

فكَّر كريم بصوتٍ مسموعٍ وقال: "شيءٌ بلا بداية ونهاية... دائرة؟ لا، هذا مادي.. شيءٌ يُرى بالقلب.. إمممممم".

صاحتْ زيتونة: "الخيال؟ نعم.. إنَّه الخيال.. فهو لا يبدأ ولا ينتهي، ويعيشُ في كلِّ زمان ومكان، لكنَّك لا تراه إلا إذا تخيلته".

توهَّجتْ عينا فرفر، وقال مختبرًا عمـــــقَ فهمهم: "قد يكون كذلك.. لكنْ ليس تمامًا".

فكَّر كريم: "لغزٌ غامـــــض، الإجابةُ تحتاج إلى تحليلٍ.. لا بداية له ولا نهاية؛ يعني دائم ومستمر.. بلا وجود؛ يعني لا يمكنُ لمسه أو رؤيته.. يعيشُ في الماضي والمســـــتقبل؛ يعني أنَّه ممتد.. لا يُرى إلا بالقلب؛ يعني الإحساس به يكونُ وجدانيًّا.. وأقوى من الجميع.. إمممممم".

نظر إلى زيتون وزيتونة، ثمَّ هتفَ كأنَّ الإجابة تخرجُ من أعماقه: "لقد عرفتُه.. إنَّه الزمن".

صفَّق فرفر بقوة: "أحســـــنتَ.. ما توقعتُ أنَّك بهذا الذكاء، تستحقُّ الاحترام يا فتى.. تفضل.. بـــــلْ تفضلوا جميعًا، يمكنكم الدخول، لكنِ اعلموا وتذكروا؛ صحيحٌ أنَّ الخيالَ هو سلاحُكم، لكنَّه في الواقع هو نقطة ضعفكم، فاحذروا".

تحذيره كانَ غامضًا، كأنَّه ينذرُ بمعركةٍ قادمة.

عبرَ الثلاثةُ البوَّابة الضَّبابية.. وجدوا أنفسَهم في ساحة ترابيةٍ غريبة، تتوسَّطها واحةٌ من مزيج المسك والعنبر، ملأى بالأشياء العائمة: كتبٌ ممزقة، ساعاتٌ مكســـــورة، صورٌ باهتة، وحتى أفكار تطفو كفقاعاتٍ مكتوب على بعضها أفكار كثيرة، منها: اخترع حذاء يجيد السباحة.. علِّم أرنبًا ركوب الخيل.. درِّب دجاجة على دخول زجاجة...

وفي منتصفِ الواحة، كانَ يوجد مخلوق طويلٌ يشبه القطط، لكنَّه من دخان أسود، يضعُ على رأسِه قبعة ساحر، ويحملُ بيده حقيبة ملأى بكرات ضوء،

قالَ لهم بمرح: "مرحبًا يا شـــــباب، أنا مختار، لصُّ الأفكار.. أحبُّ الأشياء اللامعة؛ عقول، ابتكارات، ذكريات.. وكذلك النِّكات الظريفة.. إذا أردتم البطاقة، العبوا العبتي".

شعروا بأنَّها لعبة خطرة جدًّا.. وقد تكون مميتة.. فقال كريم بحذر: "لعبة؟! لم نأتِ إلى هنا لنلعب".

ابتسمَ مختار وكانت ابتســـــامته لغزًا آخر.. ثمَّ أخرجَ كرةً ضوئية من حقيبته وقال بخبثٍ: "اللعبة ســـــهلةٌ وبسيطة؛ سأسرقُ فكرةً من كلِّ واحد منكم.. وإذا استعدتم أفكارَكم، تحصلونَ على البطاقة، وإذا فشلتم تصبحونَ جزءًا من مجموعتي".

وقبل أنْ يعترضوا، أشارَ مختار إلى حقيبته، فشعرَ كريم بفراغٍ في ذهنه، تنبَّه إلى أنَّه نسيَ اسمه، نظر إلى زيتونة، التي كانت تحدِّق إلى عصاها وقالت: "لماذا أحمل عصا؟ هل أنا ساحرة أمْ نادلة؟".

زيتون الذي بدا مشوَّشًا تمتم: "أينَ... لحيتي؟ بل أينَ أنا؟"

كانوا يفقدون أنفسَهم قطعةً قطعة.

وثبَ مختار مزهوًّا: "رائع، الآن ابحثوا عن أفكاركم في الواحةِ حتَّى تغربَ شمسُ العدم... هههههه.. وبما أنَّه لا توجد شمسٌ هنا، لذا سأعطيكم ساعة".

بدأ الثلاثة يبحثونَ بين الأشياء العائمة.. عثر كريم على فقاعة مكتوب عليها: «اسمي كريم».. حاول أخذها لكنها طارت بعيدًا.. زيتونة صادتْ فقاعة: «أنا مرشدة».. لكنها انفجرتْ، مغطيَّة وجهها بمسحوقٍ هلامي وهمي.. أما زيتون فراح يطاردُ فقاعة أخرى، انفجرتْ هي أيضًا وطارتْ منها غيمة مكتوب عليها: «أنا فيلسوف»..

قال كريم: "هذا مستحيل.. كيفَ نطاردُ شيئًا يفرُّ بسرعة؟".

قالت زيتونة وهي تمسحُ وجهها: "مهلًا.. لا نحتاجُ إلى مطاردة الفقاعات.. فرفر قال إنَّ الخيالَ هو سلاحنا.. دعونا نستخدمه".

جلس الثلاثة في دائرة وأغمضوا أعينهم.. تخيلَ كريم نفسَـــه يتذكرُ اسمه، وكيفَ كانَ يضحكُ مع أصدقائه.. رأى وجه جدِّه يبتســـمُ له، وسمع صوت «ميسو» تموء، وشعرَ بلذة أوَّل خطوة مشاها في «عالم العجائب».

تخيَّلت زيتونة مغامراتها بصفتها مرشدة.. رأتْ نفسها تقودُ رحلات ترفيهية عبر السُّحبِ المتراكمة.. أما زيتون فتذكَّر حكمته وحكاياته، رأى عالمه وهو يبنيهِ كلمةً كلمة، وحكمة حكمة.. أفكارهم كانت تنسجُ واقعَ وأحلام عالمهم منْ جديد.. عندها بدأتِ الفقاعات تطفو نحوَهم، واستقرَّتْ بينَ أيديهم.

فتحوا أعينهم فوجدوا أنَّ أفكارَهم وذكرياتِهـــم عادت إليهم، انتصرتْ قوَّة الخيال على قوَّة النســـيان.. فصفَّق مختار وقالَ مرحًا بأعلى صوته، فقد كان إعجابه صادقًا: "أنتم مثيرونَ للإعجاب حقًّا، وتستحقونَ التهنئة، نادرون هم مَن يستخدمُونَ خيالَهم ضدي، مباركٌ لكم، تفضلوا وخذوا البطاقة".

وعلى الفور انكشـــفتْ أمامهم البطاقة الثالثة لامعة كالنجوم، برمز دائرة لا نهائية.. أمسكها كريم وشـــعرَ بدفء عجيب.. في تلك اللحظة ظهر فرفر من جديد وقالَ لهم دونَ مبالاة وهو يســـرِّح شعره: "أحسنتم.. لكنْ لا تتفاءلوا كثيرًا، فما زال أمامكم «البوابة الأخيرة»، أو «بوابة المصير»، كما يســـمونَها، ولستُ أدري إن كانتْ حقًّا هي الأخيرة وتنتهي المغامرة.. أمْ إنَّ الواقع سوفَ يذهلكم بأحداثٍ وبوابات أخرى".

المشهد الحادي عشر
البوابة الأخيرة

غادر الثلاثةُ واحةَ الأفكار المسْـــروقة، وهم يحملونَ البطاقات الثلاث.. كانوا يشـــعرونَ بأنَّهم أصبحوا أقوى، لكنَّهم أيضًا أكثر تعبًا.. عادوا إلى قلبِ العدم، وســـاروا بهدوء وحذر، دونَ أنْ يدركوا على أيِّ أرض يســـيرون، حتى ظهرتْ أمامَهم بوابة ضخمة مصنوعةٌ من ضوء متلألئ، محاطة بنقوشٍ تشـــبه الأحلام.. كانت البوابة تتنفسُ ككائن حي. قال زيتون: "لا شك أنَّها البوابة التي تحدثَ عنها فرفر.. إنَّها بوابة المصير".

وضعَ كريم البطاقات الثلاث في فتحاتٍ على البوابة، فانفتحتْ ببطء، كاشفة عالمًا غريبًا: ســـماءٌ تمتزجُ بالبحر.. جزرٌ تطفو في الهواء.. أصواتٌ همسات تشبه الألحان العذبة... كان العالمُ الجديد يبدو كأنَّه حلم جماعي.

في المنتصف، وقف مخلوقٌ مهيب.. رأسُه رأس أسد، وله أجنحة مثل أجنحة عقاب.. قدَّم نفســـه: "أهلًا بكم يا رفاق.. أنا زينون الفهمان لكلِّ شيء، حارسُ التوازن بينَ الواقع والخيال.. لقـــد وصلتُم إلى النِّهاية، لكنْ لكي تحصلوا على حكمة الخيال، وتُفتـــحُ لكم «بوابة المصير»؛ يجب أنْ تجتازوا ثلاثةَ تحديات: الكتاب والقلب والمرايا الكاشفة".

صوته كان يجمعُ بينَ قوَّة أسد وحكمةِ بوم.

همســـــتْ زيتونة لكريم: "يبدو الأمر امتحانًا نهائيًّا، لكنْ دونَ منهجٍ دراسيٍّ ندرسه سابقًا".

قالَ زينون الفهمان: "في الواقعِ.. إنَّه ليسَ مجرَّد امتحان.. بل هو يعكسُ ما بداخلكم، سترونَ أنفسَكم كما لم ترَوْها منْ قبل".

كانتْ كلماتُـــــه تملأ الجوَّ رهبة.. نقلَهم زينون إلى مكتبةٍ لا نهائية، حيثُ تطفو الكتبُ وتفتحُ نفسَـــــها، ثمَّ قال: "اكتبوا قصةً تجمعكم، لكنْ إذا شككتم في أنفسِكم، ستُمْحى الذكريات".

كان التحدِّي أخطر مما توقعوا.. جلسَ الثلاثة، وبدأوا يكتبون.. كتبَ كريم عن مغامرته، لكنَّه توقف عندما فكَّر: "هل حقًّا أنا شجاع؟".. فبدأ الحبرُ يتلاشى على الفور.. زيتونة أمســـــكتْ يده وقالت: "أنتَ شجاعٌ لأنَّك هنا.. اكتبْ ذلك". كان تشجيعها له بم نزلة شريان الحياة.

كتبوا قصة عن صداقتهم، وكيف تغلَّبوا على الخوف.. فتوهَّج الكتاب.. كلماتهم نسجت غلالةً من نور انتشرَ في المكان بضوءٍ ساطع.. نقلَهم زينون مباشرة إلى حقلِ أزهار تتحدث، كلُّ زهرة تمثلُ عاطفة، وقال: "اعثروا على زهرةِ الثِّقة، لكنِ احذروا زهرةَ الشَّك".

الزهور بدأت تهمس: "أنت لستَ أهلًا.. لماذا يثقونَ بك؟ .. المسؤولية تحتاجُ إلى جدارة..".

زيتونة، التي كانتْ تتظاهر دائمًا بالمرح، رضختْ أمامَ زهرة غمزت لها وقالت: "أحيانًا أخشى أن أكونَ مجرَّد طرفة".. كانَ اعترافها صادقًا لكنه مؤلم وصادم.. أبعدها كريم عنْ تلك الزهرة، لقد كانتْ زهرة الشك، وقرَّبها من زهرة مبتسمة، وقال: "أنتِ أكثر منْ طرفة.. أنتِ صديقتنا".

فاحتِ الزهرة المبتســـــمة بعبيرها.. لقد كانتْ بالفعل زهرة الثقة، فأعطتهم شـــــعورًا دافئًا.. عندها ضحكَ زينون وقادهم نحو غرفةِ المرايا الكاشفة.. في تلك الغرفة رأى كلٌّ منهم انعكاسَ مخاوفِه؛ كريم رأى نفسَـــــه عالقًا إلى الأبد، زيتونة رأتْ نفسَها وحيدة، زيتون رأى «عالمَ العجائب» يتلاشى.

قال كريم: "المرايا لا ترحم"..

صاحَ زينون الفهمان: "لا تنهـــــاروا.. واجهوا مخاوِفكم بقوَّة العزيمة، واقبلوا ذواتكم كما أنتم.. الإعاقة الحقيقية هي إعاقة العزمِ والهمَّةِ لا إعاقة الجسد".

كلماته كانت كالبلسم.. تقدم كريم ونظرَ إلى انعكاسِه.. رأى صورته جالسًا على كرسي الإعاقة.. خاطبَ نفسه في المرآة قائلًا: "الكرسيُّ يعرف أنَّه ليس عدوي.. ولا يشكِّل لي ضعفًا ولا عارًا.. فهو الذي أوصلني إلى هنا.. أنا لا أكرهه اليوم، كما أني لم أكرهه في أيامي السابقة.. بل إنَّي أشكره وسأظلُّ أشكره".

ثمَّ رأى نفسَه يحاولُ المشيَ مســـــتعينًا بعكازِ جدِّه إبراهيم فقالَ: "أنا لستُ مثاليًّا، لكنني أحاول.. وهذا يكفي.. وهذه هي الحقيقةُ الأعمق".

تبعه زيتون وزيتونة، وردَّدا الجملةَ نفسها بصدق.. في تلك اللحظة.. تحطمتِ المرايا، وفتحت «بوابة المصير».. كان النصرُ قد تحقق.

توقفَ كريم وتأمَّل هذه اللحظـــات العجيبة.. وقال: "هذا الموقفُ صعب.. أعتقدُ أنَّ هذه البوابة ليستْ مجرَّد بوَّابة بين عالمين.. لعلَّها بوابة بين «مَن سأكون» و"مَن سأكون".. فهل يا تُرى سأخرجُ من هذا العالم كما أتيت؟".

ابتســـم زينون الفهمان وقال: "تمهلْ يا كريم.. فأنتَ أهلٌ للخيال الجامحِ والنجاح الطامح.. لكنك الآن لا تستطيعُ تحقيقَ رغباتِك بعودتك إلى عالمِك، فالطريق لم ينتهِ بعد".

هزَّت كلمات زينون الفهمان قلوبهم جميعًا، أيقنوا أنَّ الطريقَ لا يزال طويلًا.. ثم قال لهم بعد لحظاتٍ من الصَّمت: "عليكم جميعًا أنْ تحموا أنفســـكم من هواجسِها، وأنْ تثقوا بقدراتكم، ولا تستسلموا لمخاوفكم وكل ما يعوق سيركم.. ومنَ المهم أيضًا أن تتقوا شرَّ المرايا".

كانت نصيحته الأخيرة تحمل كل الحكمة.

وقبل تـــوديع زينون الفهمان ظهرت أمامهم فجـــأة علبة ضخمة، برأسٍ وجناحيـــن.. صاحت بهم: "أنا علبةُ المفاجآت.. هيا يـــا كريم افتح العلبة، وستحلم بأنَّك جزرة تتزلج".

نظر إليها بريبةٍ لكنَّه قرَّر المحاولة.. فتحها بحذر، فطارت جزرة عملاقة على لوحِ تزلج وهي تغني: "أنا جزرة الإبداع، ارقصْ معي".

زيتونة حاولت لكنَّ الجزرة تفادتها وقالت وهي تضحك: "المبدعون فقط هم مَن يرقصون معي".

قرر كريم ابتكارَ رقصة جديدة، فـــأدى حركاتٍ مضحكة جعلت الجزرة تنفجرُ ضحكًا وتهديه ميدالية لامعة كتبت عليها: «بطل الإبداع».

أيقنَ كريم أنَّ الإبداعَ يحوِّلُ الأحلامَ إلى حقيقة.. قال: "الإبداع انتصار على أيَّةِ إعاقة، حتى إنْ كانتْ مكبَّلة بالقيود".

وقعت كلماته الأخيرة على الجميع موقع السحر.. كانت بالنسبةِ إليهم ثاقبة ومثاليـــة، فكَّر بأنَّه يكادُ يصل إلى القمَّة وهمس: "كل خطوةٍ إلى الأعلى تبدو رتيبة وثقيلة.. لكنَّها تجعلني أدنو من نفسي الحقيقية.. ولو أنني استســـلمتُ في البداية لبقيتُ في الحَضيض إلى الأبد.. فلا شكَّ في أنَّ الطموحَ يشبه ارتقاء درجات السلم، فلا يمكنُ بلوغ قمتِه دونَ صعوده درجةً درجة".

المشهد الثاني عشر
جزيرة الظلال الناقصة

وقفَ كريم وزيتون وزيتونة باعتزاز وثقة أمام «بوابة المصير» التي كانت تتوهج كأنَّها نافـــــذةٌ على العالم.. لكن بدلًا من عودةِ كريم إلى المكان الذي جاءَ منه؛ وجدوا أنفسَـــــهم على أرضٍ من زجاج ملون، تنعكسُ عليها صورهم بشكل مشوَّه، ثم ظهرت دوَّامة جديدة، كأنَّ «عالمَ العجائب» يريد أن يؤكدَ لهم أنَّ الوقت لم يحنْ بعد، سحبتْهم الدوامةُ إلى مكانٍ غريب آخر: جزيرة تطفو في سماءٍ وردية.. وظلال نصف مكتملة، تتحركُ كأنَّها على مسرحٍ كوني كبير.

بعضُ الظلال كانت تشـــــبه أشجار تفاحٍ ناقصةِ الأغصان، وبعضها لأشخاصٍ من دون أطراف، وبعضها رأسُ بلا جســـــد.. كانت الجزيرةُ متحفًا للاحتمالات الضائعة، تساءل كريم وهو ينظرُ إلى ظلِّه الناقص: "أين نحنُ الآن؟ هل هذه محطَّة أخيرة، أمْ سأتحوَّلُ إلى ظلٍّ دائِم؟ ماذا لو لم أستطعِ العودة؟".

خوفه منَ الفشلِ عادَ بقوة.. وضحكتْ زيتونة لتخفي خوفَها الحقيقي، فيما كانتْ تحاولُ الإمســـــاك بظلها وهو يتقافز كضفدعٍ هاربٍ من شبكةِ صيادٍ محترف، وقالتْ: "هذه الجزيرة مأوى الأشـــــياء التي لمْ تكتمل؛ قصصٌ نصفُ مكتوبة، أحلامٌ بلا خاتمة، نكات بلا ضحكات.. وأشباح أمنيات لم تتحقق"..

توترت أعصابُ زيتون، عبثَ بلحيته بقلق، وصار خوفه يزداد حِدَّة.. قال: "يبدو المكان خطيرًا.. الظلال الناقصة جائعة، إذا لمستنا قد تسحبُ جزءًا منَّا، مثل ذكرياتِنا أو مواهبنا أو شجاعتنا.. أو كل ذلك معًا.. احذرا.. يجب أنْ نجدَ طريق العودة بسرعة".

وفيما كان كريم يتأمَّل الظلال الغريبة التي تتحركُ حوله ككائنات تبحثُ عن أصحابِهـــا؛ لمحَ ظلًّا صغيرًا يزحفُ على بطنِه بدلًا من أنْ يمشي على قدميه.. ارتجفَ قلبُه، شـــعرَ كأنَ ماضيه يطارده في هيئةِ سراب مظلم، يهمسُ له: "ستبقى عاجزًا مهما حاولتَ".

اقترب من الظلِّ بخطوات مترددة، مدَّ يده ولمسه، فإذا بالظلِّ يلتفُّ حول ذراعِه ويشدُّه بقوَّة حتى كاد يســـقط.. صرخَ كريم محاولًا الإفلات، فأسرعت زيتونة وهتفت: "لا تستســـلمْ.. هذا امتحانك الحقيقي.. الظلُّ يعيش من ضعفك، فإذا قاومتَه بعملك وإصرارك تلاشى".

تذكر كريم كيفَ كانَ يحاولُ تطويعَ الكرسي ليصبحَ أســـرع وأقوى، وكيفَ كان يسيطرُ على عجلاته لتتحرَّك حسبَ رغبته.. قال بصوتٍ مبحوح: "أنا لستُ عاجزًا.. الإعاقة لم تمنعني منَ التعلم والضَّحك.. ولنْ تمنعني منَ النجاة الآن".

عندها بدأ الظل يتلاشى شيئًا فشـــيئًا حتى اختفى، كغيمة خفيفة في مهبِّ الريح.. لكن، وقبل أنْ يلتقطَ أنفاسَـــه، تقدَّمتْ نحوه مجموعةٌ من الظلال العملاقة، كلٌّ منها يحملُ ملامحَ خوفٍ مختلف: ظلٌّ يتنمَّر عليه ويضحك بســـخرية.. ظلٌّ يبكي بحرقة.. ظلٌّ يتظاهر بالقوَّة ثم ينهار.. قال زيتون بنبرة عميقة: "هذه ظلال القلوبِ اليائسة، إنْ لم تواجهها ستبتلعك".

شعر كريم بالارتباك، لكنَّ صوتًا داخليًّا همسَ له: "تذكَّر أحلامك وآمالك، هي مصابيحُ حياتك".

أغمضَ عينيه وتخيَّل نفسَه وهو يبحثُ في مكتبة جدِّه، يدوِّن الأفكار، يبتكرُ ألعابًا للأطفال على الكـــراسي المتحركة، ومع كلِّ فكرة مضيئة، كانتِ الظلالُ تخفتُ وتتراجعُ حتَّى اختفت.. وقبـــلَ أن يفكروا من جديدٍ؛ ظهرتْ أمامهم شخصية جديدة: مخلوقٌ صغير يشبه قنفذًا مصنوعًا من ضوءِ القمر، يرتدي معطفًا مملوءًا بجيوبٍ باهتة..

قدَّم نفســـه مبتسمًا: "أنا دُعلج، رســـول الخيال، أرسلني زينون الفهمان لإرشادكم، لكنْ توجد مشكلة، لقد عاد سيد النسيان وهو يتحكمُ بالجزيرة، فإذا أردتم العودة، يجبُ أنْ تواجهوه مباشرة... وتكملوا ظلالكم".

قال كريم بقلقٍ متأمِّلًا ظله وهو يحاولُ سرقة حذائه الرياضي: "ظلالنا؟!".. وتابع بسخرية: "كيف نكمل ظلًّا يسرقُ صاحبه؟ هل نرسمه بالريشة المتوهجة؟".

بدتْ مهمتهم هي الأصعب حتى الآن.. وكانتْ سخريتُه سلاحَه الوحيد.

ضحكَ دعلج.. وقال ليكشف خبايا نفوسِهم بصراحة مؤلمة: "ليس بالرسمِ فقط، بل بقصة معبرة، كل ظلٍّ هنا يمثل شيئًا تخافون منْ مواجهته.. أنت يا كريم، ظلك ناقصٌ لأنك تخشى ألَّا تكون بطلًا في الجري، لذا هو يسرقُ حذاءك.. وأنتِ يا زيتونة، ظلك ناقصٌ لأنكِ تخافين ألَّا يأخذكِ أحدٌ على محملِ الجد.. أمَّا أنتَ يا زيتون، فظلك ناقصٌ لأنك تخشى أنْ تفقدَ عالم العجائب".

قالت زيتونة بغضب: "أنا خائفة؟ ما هذا الكلام، أنا ملكةُ النكات، لكن.. أحيانًا أشعر بأنني مجرَّد دعابة".

وضع كريم كفَّه على كتفها وقالَ محاولًا مواســـاتها: "لستِ كذلك يا زيتونة.. إنَّكِ مصدرُ سرورِنا وثباتنا.. حتى عند وقوعنا بالخطر".

تنهَّدَ زيتون قبل أنْ يقول: "بالنســـبة إليَّ، دعلج محق.. فأنا أخاف أن يتلاشى «عالم العجائب» إذا فشلنا.. لكننا معًا، يمكننا مواجهة أي شيء".

قوتهم كانتْ في وحدتِهـــم.. عندها أعطى دعلج كلَّ واحد منهم قلمًا جديدًا ناصعًا وقالَ لهم: "هيا اكتبوا قصصَ ظلالكم، أتمُّوها بشجاعة.. لكنِ احذروا سيدَ النسيان سيحاولُ منعكم".

المعركة باتت فكرية وجودية.. شـــرع الثلاثة يكتبونَ في الهواء، والكلماتُ تتحول إلى خيوطِ ضوء تلتصق بالظلال: "أنا كريم، بطلٌ مميز، أواجهُ إعاقتي بقوة، وأحولها إلى قدرة".

زيتونة": "أنا زيتونة، نكاتي سرُّ قوتي، أنا أكثرُ من مجرَّد دعابة".

زيتون: "أنا زيتون، حكيمُ «عالم العجائب»، سأحمي عالمي بكلِّ عزم".

كانوا يعالجون جراحَ أنفسِهم بالكلمات.. لكنَّ سيد النسيان ظهرَ مرَّة أخرى، بشكلٍ أضخم وأكثر رعبًا.. صاح بهم: "كفى اســـتهزاءً.. توقفوا.. أنتمْ لا شيء، وستظلونَ لا شيء".

كان هجومه شرسًا.. شـــعرَ كريم بقلبِه ينبضُ بشدة، وتذكر كلمات فرفر: "الخيال هو سلاحكم".. صاحَ بصوت عالٍ: "لن نسمحَ لك.. نحنُ نؤمن بقوَّة الخيال".. زيتونة أطلقت فقاعاتٍ كثيفة وصاحت: "أنا زيتونة، الجنية المرحة..

قوتكَ لنْ تمنعَ طـــــرائفي".. زيتون رفع يديه هاتفًـــــا بكل ثقة: "عالمُ العجائب سيطردك"..

اندمجتْ كلماتهم.. كانتْ مثلَ درعٍ واحدةٍ مشتركةٍ.. تحولت إلى موجةِ ضوءٍ ساحقة ضربَتْ سيِّد النِّسيان بشدة، فصرخَ صرخة مدوِّية وهو يضمحل، حتى تحوَّل إلى هلام طائر ثمَّ اخـــــتفى.. انتصروا بالتعاون والإيمان.. على الفور اكتملتْ ظلالهم وتجلَّى ظلُّ كريـــــم يرفع درعَ الإبداع على شكل قلم ذهبي.. صفَّق دعلج بسعادة، وكانت نصيحته الأخيرة لهم: "أحسنتم.. أحسنتم.. الآن، عودوا عبر البوابة.. لكن تذكروا أنَّ الخيالَ لا ينتهي أبدًا".

قال كريم بقلق: "هل أنتَ متأكد.. هل سنعودُ بالفعل؟".

لكنَّ دعلج اختفى قبل أنْ يسمعَ السُّؤال.. كان عليهم أنْ يثقوا.. وعندما همُّوا بالمغادرة ظهرَ ظلٌّ ضخمٌ ملأَ الســـــماء، له جناحان كسحاب أسود، وصوتٌ كالرَّعد يقول: "لن تعبروا قبلَ أن تقدِّموا لي أثمنَ ما تملكون".

ارتجفتِ الأرضُ تحتَ أقدامهم، كادَ كريم يتراجع، لكنَّه ابتسمَ وقالَ: "أثمنُ ما أملكُ هو الأمل.. لكنَّ الأملَ لا يُسرق، بل يُزرع في القلوب.. إنْ كنتَ تبحثُ عنه، فها هو.. خذه إنِ استطعت.. إنَّه الأمل.. إنَّه الأمل".

أطلق كلمة «الأمل» بصوت عالٍ وصار يرددها، فانبثقَ من صدره نورٌ ذهبي اخترقَ جســـــد الظل العملاق، فانشقَّ إلى نصفين واختفى، تاركًا خلفه جسرًا من نور يقودهم إلى برِّ الأمان.

هوى كريم على ركبتيهِ متعبًا، لكنَّه ظلَّ مرفوعَ الرأس.. أحسَّ بأنَّ قوته لم تأتِ من قدرته على المشي، بلْ من إصراره على الاستمرار رغمَ كل شيء.. وإذ بالثلاثة يشعرونَ بريحٍ رطبة دافئة، حملتْ إليهم سحابة مطرَّزة بالنجوم.. قالت لهم: "أنا سحابةُ المقالبِ المنسية، أجيبوا عن سؤالي.. ما الذي لا يُنسى أبدًا؟".

فكَّر كريم، ثمَّ أجاب: "الصَّداقة، لأنَّها تضيءُ مثل النجوم"..

قالت: "إجابة ممتازة".. ثم تحوَّلت السَّحابة إلى قِلادَة مكتوب عليها: «بطلُ الصَّداقة». كانت هديَّة مناسبة.. كريم باتَ يعلمُ أنَّ الصَّداقةَ قوَّة لا تُهزَم، حتَّى في عالمِ النِّسيان.

لكنَّ الريحَ الدافِئة قرأتْ أفكارَه وهمَسَتْ: "احذرْ، النِّسيان يُحبُّ الفِخاخ".
تذكر نصيحة جدِّه.. عندها طارت حوله سحائب صَغيرة وقالتْ بصوتٍ واحد: "نحنُ سحائبُ النِّسيان، سنَسرقُ ذكرياتك".

أطلقت زيتونة فقاعاتٍ ضاحكة، فتحولت السحائب إلى فراشاتٍ تغني: «الصَّداقة أقوى منَ الجَميع».. هذا علَّم كريم أنَّ الصَّداقةَ تحمي الذكريات، والضَّحك يجعلُ أيَّ تحدٍّ مغامرة ماتعة.

في تلك اللحظة أظلم المكان تمامًا، وهبَّت ريحٌ عاتية حملت كريم.. وطارت به.. وظلَّتْ تحلقُ حتى ضاقَ صدره ولم يعدْ يعِي ماذا يحدث.. وغابَ عن الوعي تمامًا

لم يدرِ.. أهيَ النِّهاية أم إنَّها البداية!

المشهد الثالث عشر
العودة إلى المكتبة

استيقظ كريم ووجدَ نفسَه مســـــتلقيًا على الأرضِ في مكتبة جدِّه، محاطًا برائحة الكتبِ القديمة، وخيوط الشمس تتسلل من النافذة.. كانَ كل شيء كما تركه... لكنَّ البابَ الخشبيَّ الصَّغير كانَ مغلقًا، كأنَّه لم يُفتحْ قط.. للحظةٍ، شـــــعرَ بحزنٍ غريب... كما لو أنَّه فقد شيئًا ثمينًا.. تساءلَ إنْ كانَ كلُّ ما مضى حلمًا: «عالم العجائب».. زيتونة.. زيتون.. البطاقات الثلاث.. البوابة النهائية..

وجدَ كـــــرسي الإعاقة بانتظاره.. لم يعبأ به، فالإعاقةُ ليســـــتْ قيدًا، كما أنَّ الحريةَ لا تبدأُ منَ القدمين، بل منَ الخيال، وقد تأكَّد أنَّ خياله أوسع منْ كلِّ القيود.. وضعَ يده في جيبِه، فوجدَ الريشـــــة المتوهجة.. حملها وكتبَ في الهواء: «أنا كريم»..

ظهرتِ الكلمات لامعة ثم تلاشت.. تمتم وهو يبتسم: "يا للعجب.. هذا إذنْ ليس حلمًا".

في تلك اللحظة دخلَ جدُّه إبراهيم، حاملًا كوب شاي بالزنجبيل.. نظر إلى كريم بدهشة: "يا ولدي، أأنتَ هنا طوال الوقت؟ يبدو أنك وقعتَ على الأرض من كرسيك المتحرك"..

اقتربَ منه جده وساعده بالجلوس على كرسيه.. وقال: "كنتُ أبحثُ عنك.. ألم تسمعني أناديك؟ أشعر أنَّك كنتَ في عالم آخر".

كانت ملاحظته دقيقـــــة بشكل مدهش.. فقال كريم مرتبكًا: "شيءٌ من هذا القبيل يا جدي.. لنقلْ إنني كنت أستكشفُ بعض الأسرار".

في الأيَّام التالية، لاحظ كريم تغييرًا في نفســـــه.. لم يعد يخشى رسمَ وكتابةَ القصص وروايتها للأصدقاء، حتى إنْ لمْ تكنْ مثالية، بدأ يشاركها مع أصدقائه الذين أحبُّوا مغامراته عن عالمٍ مملوءٍ بالملاعق الطائرة والمعكرونة المغنية، أما أخته فقد طلبتْ منه أنْ تكونَ بطلة إحدى قصصه.. كانَ يُلهم جميع مَن حوله بشجاعته.

وفي ليلة، فيما كانَ جالسًا في غرفته، اهتزَّت الريشة فجأة، وظهرتْ رسالة في الهواء: «اضحك واستمر بالضحك.. وتأكد أنَّ «عالم العجائب» ينتظركَ دائمًا.. مع محبتنا؛ زيتون وزيتونة».

كانت الرســـــالة تذكيرًا بأنَّه لم يكنْ وحيدًا.. سقطتْ دمعةٌ منْ عينيه وقال: "الرفاقُ ليسوا هم فقط مَن يمشونَ معي، بل هم مَن يتركُون أثرًا في قلبي.. ها هما يضحكان في مكانهما البعيد، وأنا أضحك هنا، والضحكة تجمعنا".

ثم عادَ وابتسم، وعزمَ على كتابة قصَّةٍ جديدة عن فتى يجد بابًا سحريًّا، لكنَّه هذه المرَّة لم يكن خائفًا من الإعاقة، أدركَ أنَّ الخيال ليسَ هروبًا من الواقع، بل هو طريقة لفهم العالم بشكلٍ أفضل.

وكتبَ كمَن ينطق من قلبه: "كـــــنْ فضوليًّا، حتى لو بدتِ الأبواب مغلقة.. لا تخفْ من أحلامك، فهي قد تقودكَ إلى عوالم جديدة.. أنتَ البطل، حتى خارج الحلبة.. لا تدعْ كرسي الإعاقة يمنعُكَ منْ تحقيقِ أحلامك".

عاد كريم إلى مكتبةِ جدِّه، فوجدَ «ميسو» مرتدية قبعة ساحر عجوز، قفزتْ وماءتْ كأنَّها تقول: "أنا قطة العجائب.. اكتب لي قصةً جديدة، أو سأحولك إلى عصفورٍ يلعب معي".

ضحكَ كريم وحرَّك عجلات الكرسي، وكتبَ بالريشة المتوهجة: "ميسو ملكة المكتبة"، وعلى الفور بدأت «ميســـــو» ترقصُ معبّرةً عن سعادتها.. وأهدته لوحة نسجتها بشعرِها وكتبت عليها: «كريم البطل الشجاع».

شعر كريم بأنَّ الشجاعةَ في الرسم وكتابةِ القصص تجعلُ كل شيء في المكتبةِ وفي الحياةِ ممكنًا.. حركتْ «ميســـــو» ذيلها كأنَّها تقول: "احذرْ، المكتبة تخبئ مفاجآت".

تحركت بعضُ الأوراقِ البيضاء وقالت: "نحنُ ننتظرُ القصصَ كما ننتظرُ البطل".

كتبَ كريم قصَّةً عن قطةٍ ســـــاحرة حوَّلت الكتبَ إلى فراشات ملوَّنة ترقص وتغني: "الشجاعة تصنعُ الأعاجيب".

سمِع كتابًا يهمس: "الشَّـــــجاعةُ تحولُ الأحلامَ إلى حقيقة، والخيالُ يجعلُ المستحيلَ واقِعًا".

كانَ الاندمـــــاج قدِ اكتمل منْ قارئ إلى كاتبٍ ورســـــام.. ومن مضحك إلى مصدرٍ للإلهام.. وبعدَ أيَّام من عودتِه، أصبحَ كريم معروفًا في مدرستِه بلقب «القصصجي»، وصار في كل صباح يجلسُ في الفناء محاطًا بأصدقائه، يروي مغامراتِه مع بعض الإضافات الدرامية.. في قرارةِ نفسِـــــه كانَ مشتاقًا إلى «عالم العجائـــــب».. كان يعتقدُ أنَّه لنْ يعودَ مرَّة أخرى إلى ذلك العالم.. لكنَّه آمنَ بأنَّ الخيالَ أقوى من كرســـــيِّه المتحرِّك.. بل أقوى من الواقعِ نفسه.. لقد وجدَ ذاته الحقيقية..

وفي ليلة، فيما كانَ يقلِّبُ صفحات كتابٍ قديم في مكتبة جدِّه، طارت صفحة مكتوب عليها: "الباب الثاني.. مفتاح الوقت"، قلبَ الصَّفحة فوجدَ رسْمًا لبابٍ آخر، هذه المرَّة؛ كان الباب في سقفِ المكتبة، نظر إلى الريشة المتوهِّجة في يده، وكتب في الهواء: "زيتونة.. زيتون، استعدا، الجولةُ الثانية قادمة"..

عندها ظهرت دوَّامـــــةٌ جديدة، ملأَى بنجومٍ متلألئةٍ مع قهقهات عالية، قفزَ كريم داخلَ الدوامة دونَ ارتياب هذه المرة، معلنًا استعدادَه لمغامرةٍ جديدة، واثقًا بأنَّ الخيالَ سيظلُّ دائمًا بوابته إلى المستحيل..

وجدَ نفسه أمامَ زيتونة وهي ترتدي ثيابًا ملونة فاخرة.. قالتْ بفرح: "مرحبًا بك في مهرجان العجائب.. ابدأ الرقص حالًا.. إذا لم ترقصْ ستتحول إلى شجرةٍ راقصة".

انفجر كريم ضاحكًا وسقط في مستنقعٍ للحلوى اللزجة.. فيما كانَ زيتون يقود درَّاجةً من البسكويت، وهو يغني: "التفاؤلُ يجعلُ العالمَ يهزج".

أمسكَ كريم بميكروفون ســـــحري وغنَّى أغنية بكلماتٍ لا معنى لها... فيما ظهرت «ميسو» تقودُ سربًا من القطط الطائرة ترتدي قبعاتٍ ملونة. أهدته زيتونة تاجًا مضيئًا مكتوبًا عليه: «بطل التفاؤل». شعرَ كريم بأنَّ التفاؤل يبهجُ القلب ويبدِّد الظلام.

طارت كعكة عملاقة وهي تغني وتقول: "أنا ملكة المهرجان، أنا ملكة الحلوى اللذيذة.. ما أطيب طعمي.. هيا ألحقوني لتأكلوني.. يم.. يم"، لكنها قبلَ أن تكملَ وصلتها الغنائية؛ ارتطمتْ بقطعةٍ كبيرةٍ من الســـــكر المتحجر، فتحطمتْ وتناثرتْ فتاتًا فتاتًا.. واختفى زيتون وزيتونة من أمامه.. لكنَّ الفتافيت راحتْ تغني من حوله بعد أنْ تحوَّلت إلى جوقة غنائية..

تأمَّل كريم المشهدَ وقالَ في نفسه: "الرضا والقناعة يخلقان نهاياتٍ سعيدة، حتى إنْ تفتتِ الكعكة وتحولتْ إلى قطعٍ صغيرة متناثرة".

المشهد الرابع عشر
تحدِّي اللحظات المتجمدة

صادفَ كريم دوَّامة جديـــــدة أمامه، التهمته قبلَ أنْ يتراجع خطوة واحدة.. شعرَ بأنَّ جسده تحوَّل إلى نغمة موســـــيقية مع أصواتِ قهقهات بعيدة.. هبطتْ بهِ على أرضٍ ناعمة تفوح برائحةِ كتب قديمة، لكنه لم يكنْ في مكتبة جدِّه، ولا حتى في «عالم العجائب» الذي باتَ يعرِفه جيدًا.

كان المكان جديدًا.. فضاء تطفو فيه ســـــاعات ضخمة محطمة الواجهة، عقاربُها تدورُ بشكل عشوائي، وبعضُها يصدر أصواتًا غريبة مثل: "تاك.. تيك.. تكتكووووو".. ثم أصوات أخرى كأنها تنفجرُ من الضَّحك: "هوهوهوهاااا".

رأى ســـــاعة بحجم طائرة عملاقة، عقربها الكبير يتحرك إلى اليسار بدلًا من اليمين.. قالَ ضاحكًا: "حســـــنًا، يبدو أنَّ المكان أضحوكة كبرى.. عمومًا هذه ليست طائرتي".

أمسكَ الريشة المتوهجة في يده، وكانت تهتزُّ بشدة، كتب: "زيتونة.. زيتون، أين أنتما؟ أحتاجُ إلى ضحكةٍ أو حكمة.. الآن".

دوَّى صوتٌ مألوف: "ضحكة؟ هههههههه.. إذن اسمع السؤال والجواب: لماذا عقارب الساعة تتأخر دائمًا؟ لأنَّها تحبُّ الضحك على الزمن".

كريم: "هذه أسخفُ مما توقعت.. على كلِّ حال: أفضل من لا شيء".

رفع رأسَـــه متأفِّفًا.. فإذا بزيتونة تهبط على لوح تزلج يشبه عقربًا متمردًا قفز من ساعة متقاعدة عنِ العمل.. رفعت زيتونة قبعتها القشية بشكلها الجديد، مرصَّعة بتروسٍ صغيرة ملونة، قالت: "عالم العجائب أرسلَ إليَّ استغاثة سريعة بعد أنْ فتحتَ الباب الثاني.. يبدو أنَّ فتح الباب كشفَ عن مشكلة زمنية".

ظهر زيتون منزلقًا على زجاج ســـاعة عملاق.. لحيته كانت متشابكة بعقارب ونوابض، ونظارته الشمسية مائلة بشكل يدعو للشفقة.. قال: "الباب الثاني ليس مجرَّد بوابة، إنَّه مدخلٌ إلى ســـاعة الزمن المنكسر، إنه مكان يتحكمُ بتدفقِ الوقت في «عالم العجائب»، وهناك مَن يحاول تدميره".

قال كريم بدهشـــة: "تدمير الزمنِ! مَن يجـــرؤ على ذلك؟!".. ثم تابع كلامه مستدركًا: "رائع.. رائع.. هذا يعني أنني لنْ أكبر أبدًا".

قهقهت زيتونة كعادتها ثـــمَّ أطلقت فقاعة ضاحكة وقالت: "من المؤكد أنَّه ليس سيد النســـيان هذه المرة.. إنَّها ملكة الساعات، سيدة تحبُّ جمعَ اللحظات النـــادرة وتجميدها.. علمتُ أنَّها ســـرقتْ مفتاح الزمن، وإذا لم نسترجعه، فسوفَ يتوقفُ الزمنُ في «عالم العجائب» عن الحركة.. وربما في عالمك أيضًا".

حدَّق كريم إلى السَّاعات العائِمة.. بعضها كانَ بأشكالٍ ومواقف غريبة: ديناصور يركبُ دراجة، كعكةٌ تحتفل بعيدِ ميلادها في مخبزٍ للكعك الأســـمر، فرسٌ يمتطي ساعةً جداريَّة منزلية، يبدو أنها نسيَتْ عقاربها في صالة الاستقبال..

التفتَ نحو جهة ثانية فرأى نفسَـــه يأكل البطاطس المقرمشة في ساحة المدرسة، ويشـــربُ عصيرًا مثلجًا، وعلى رأسه قبعة صوفية تحميه من بردِ الشتاء.. أصابته دهشة لم يسبق لها مثيل فصرخ: "مهلًا.. مهلًا، هذه ذكرياتي". هز زيتون رأســـه وقال: "نعم.. ساعة الزمن المنكسر تجمعُ لحظات العالم.. وملكة الساعات تســـتخدمُ قوتها لتجميد اللحظات، لذا يجبْ أنْ نجدَها ونستعيد مفتاح الزمن".

على الفور انطلق الثلاثة عبر ممرٍّ من الساعات المتأرجحة، حيث كانت عقاربُ الساعات تحاول إمســـاكهم.. تفادت زيتونة عقربًا ضخمًا بحركة بهلوانية، وصرخت: "دقات هذه السَّاعات أكثرُ إزعاجًا منْ صفَّارات الطوارئ".

وبعد مسيرة مرهقة وصلوا إلى بيتٍ فخم من البلور الرقيق، يعكسُ لحظات متجمدة: طيور معلقة، أمواج بحر عالية مختلطة بالزبد الأبيض، سناجيب صغار متجمـــدونَ في الهواء فوق الأرضِ بمتر أو أكثر، يبدو أنَّهم كانوا يلعبون لعبة القفز العالي..

وسط البيتِ الفاخر تربعتْ ملكة السَّاعات على عرشٍ من التروس.. شابة أنيقة رشيقة بعيونٍ مثل عقارب الساعة، ترتدي ثوبًا من خيوط الزمن المتلألئة.. وبيدها تحمل مفتاحًا ذهبيًّا ينبضُ مثل القلب. قالتْ بصوت يشـــبه رنينَ جرس المنبه: "مرحبًـــا بالزوَّار الأعزاء.. بالتأكيد جئتم من أجل مفتاح الزمن، أليسَ كذلك؟ ما رأيكم بأنْ تبقوا هنا، في لحظة جامدة إلى الأبد؟".

كريم: "شكرًا.. أحبُّ حياتي الملأى بالفوضى.. أعطينا المفتاح وإلَّا ستواجهين طرائف زيتونة".

زيتونة لم تنتظرْ، لوَّحتْ بعصاها وألقت نكتة: "لماذا سجَّلتِ الساعةُ مشهدًا كوميديًّا؟ لأنَّها تريدُ أن تصبحَ «يوتيوبر» مشهورة".

غضبتْ ملكة الساعات وضمَّت شفتيها بعبوسٍ وقالت: "النكات السَّخيفة تُفسد اللحظات المثالية.. إذا أردتم مفتاحَ الزمن عليكم أن تجتازوا تحدِّي اللحظات المجمَّدة".

ثم رفعت يدها فظهرت ثلاثةُ أبوابٍ زجاجية، كل منْها يقودُ إلى مشهدٍ من حياة واحد منهم، وقالتْ: "أكملوا هذه اللحظات الثمينة، أو تتجمَّدون إلى الأبد".

دخلَ كريم الباب الأول، فوجد نفسَه في المدرسة حيث كان خائفًا من قراءة الدرس.. توقفتِ اللحظة، وكانوا جميعًا يحدقون إليه ويترقبون ما هو فاعل.. أمسك ريشته المتوهجة وخطَّ في الهواء: "أنا شجاع وسأروي قصتي".. تحركت اللحظةُ، وروى قصته، فصفَّقَ له الجميع.

دخلت زيتونة بابها، فوجدتْ نفسها في لحظةٍ حاولتْ فيها إلقاءَ نكتة طريفة، لكنَّ الجميعَ تجاهلوها.. كتبتْ: "نكاتي تجمعُ النَّاس ولا تفرقهم".. ثم عصرتْ فكرها جيِّدًا وألقتْ نكتةً جديدة لم يسمعْ بها أحد من قبل، فضحك الجميع.

أما زيتون فقد واجهَ لحظةً خافَ فيها منْ خِسارةِ «عالم العجائب»، فكتبَ: "أثِقُ بأصْدقائي".. عندها اقتربَ منهُ كريم برفقةِ زيتونة، ما منحَه القوَّة والجسارة.

غضبتْ ملكة السَّـــــاعات وقالتْ بصوتٍ محبَط: "كيف.. كيف؟ لا أحد يكسرُ لحظاتي".

قال كريم رافعًا راية النصر: "إننا لا نستمتع بلحظاتكِ المتجمِّدة، بل نستمتعُ بقصصِ الخيال".

تفاعل الضوءُ مكوِّنًا إشعاعات هزَّازة حطمت الأبواب الزجاجية.. قفزَت زيتونة وخطفتْ مفتاحَ الوقتِ من يدِ الملكة، فصرختْ وهي تتلاشى.. فقالتْ زيتونة: "أحسنتم يا أحسنَ رفاق.. أحسنتم!".

ابتسمَ زيتون بفخرٍ ورفعَ يده بإشارةِ النَّصر وقالَ: "الآن.. هيَّا بنا إلى مركزِ ساعة الزمنِ المنكسِر لإصلاح العطب".

المشهد الخامس عشر
شاطئ بحر الأمنيات

وفيما هم في طريقهم، وجدوا أنفسَهم على شاطئ بحرِ الأمنيات، حيث الأمواجُ من عصير التوت الأحمر، وكلُّ موجةٍ ترتدي نظاراتٍ شمسية بألوان وأشكال متعددة.. وعلى شـــــاطئ الأمنيات، ظهرتْ أمواجٌ تحمِلُ أصواتًا من الماضي: زملاء يسخرون، معلم يقول له: "لنْ تقدر"، همسات تردد: "أنتَ ضعيف".

جلسَ كريم على الرِّمال وأخذَ حفنةً منهـــــا، وقالَ بصوتٍ ثابت: "كُلُّ هذه الكلمات مثل الرِّمال، تتلاشى وتتســـــرب من بين أصابعي... أمَّا الأملُ، فهو كالبحر، لا ينتهي".

ارتفعتْ موجةٌ مضيئة رســـــمتْ له طريقًا في البحر، كأنَّها تقول: "سرْ نحو غايتك.. لا تقلق".. وعلى قمَّة الموجةِ ظهرتْ ســـــمكةٌ ذهبية تحبُّ التزحلقَ على الموجِ العالي، وعلى رأسِـــــها قبعة صيَّاد، قالتْ بصوتٍ ناعم: "قبل إصلاح الزمن عليكم أنْ تطلبوا مني أمنيَة.. أنا سمكة الأمنياتِ الخلابة، تمنَّ أنت أولًا يا كريم أمنية حالمة، وإلَّا سأجعلكم مقرمشاتٍ بحرية منَ النوع الذي تحبُّ الأسماكُ طعمها اللذيذ"..

تعجَّلَ كريم وقال بعدَ أنْ رأى موجةَ عصير عالية تتجه نحوه بسرعة: "أتمنى أن أطير فوق سحابة مسلِّية".

وعلى الفور ظهرت ســـــحابة من الكريمة اللذيذة وقالت: "أنا سحابةُ الرِّيحِ العاتِيَة.. اصْعدوا على ظهري إنْ كنتم جريئين".

صعدَ كريم وزيتون وزيتونة ظهر السَّحابة.. في البدايةِ كانتْ هادئة طرية مثل فراشٍ ناعم، لكنَّها صارت تدورُ بعنفٍ مثل مروحةٍ شديدة الخَطر، فصرختْ زيتونة: "يا إلهي.. هذه السَّحابة أسوأ من نِكاتي كلها".

ورغم عنفِ السَّـــــحابةِ، ظلوا متشبثين ببعضِهم بعضًا حتَّى هدأت.. فقامتْ بإهدائِهم قلادة متلألئة كتبتْ عليها: «أبطالُ الجرأة والشجاعةِ والأمل».. شعرَ كريم بأنَّ هذه الصفات الثلاث تمنحُ الأمنيات أملًا..

غير أنَّ موجةً غيورة كانـــــتْ تراقبُهم منْ بعيد، يبدو أنَّها لم تكنْ معجبة بما فعلته السَّحابة، فهجمتْ عليهِم وهي تصيحُ: "أنا موجةُ المقالبِ الشرسة.. سأغرقكم بالعصير".

لكنَّ زيتون صادَها بشبكةٍ منْ لحيَتِه قبلَ أنْ تُغرِقَهم، فتحولتْ إلى زبدٍ أبيض يُغني: «الأملُ يجعلُ البحرَ يضحك».. فقال زيتون: "الأملُ والفكاهةُ يحولان أيَّ موجةٍ إلى مغامرة، حتَّى وإنْ كانتْ منَ التوتِ المغرور".

بعد ذلك توجَّه الثلاثةُ إلى مركز ســـــاعة الزَّمن المنكسِر، حيث كانت ساعة عملاقة تدورُ بعشوائية، وتهدِّد بتحطيمِ الوقت.. كانَ مفتاحُ الزَّمنِ ينبضُ في يدِ كريم، كأنَّه يعرفُ مقدارَ قيمته الثمينة وأهميته.

فجأةً ظهرَ دعلج من جديد يطفو على ســـــحابةٍ صغيرة.. وقال: "أحسنتم يا رفاق.. لكـــــنَّ إصلاح الزَّمن يتطلبُ أكثر منْ مفتاح.. يجبُ أنْ تضعوا جزءًا من خيالكم فيه".

سأله كريم مستنْكِرًا: "تريدُ أنْ نتخلَّى عن جزءٍ من خيالنا! هل هذا يعني أنني سأفقد قصصي ولوحاتي؟".

هزَّ دعلج رأسَـــــه بالنفيِّ قائلًا: "أبدًا، يبدو أنَّكَ فهمتَ كلامي بشكل عكسي.. أنا أقصدُ المشاركةَ والمشـــــاطرة، لا النقصان والاعتزال.. فالخيالُ ينمو عندما نمنحه فرصةً أكبر للسمو والنمو".

جلسَ الثلاثة بهدوءٍ تامٍّ أمامَ السَّاعة؛ كريم كتب ورسم قصةً عن مغامرةٍ يعود فيها إلى «عالم العجائب»، مشحونة بالضحكِ واللعبِ والمتعةِ والشجاعة.. زيتونة كتبتْ طرائفَ عن ســـــاعةٍ تتحدث وتهزر، ما جعلَ السَّاعة العملاقة تضحك وتهتز.. زيتون كتبَ حكمة تعلمها من خلال التجربة: "الزمنُ ليسَ مستبدًّا ولا متعسِّفًا، بل هو صديقٌ للعدلِ والإنصاف في الأحكام والأعمال".. اندمجتْ كلماتهم فتوهَّج المفتاحُ وانطلقَ نحو قمَّة السَّاعة، عندها توقفت عقاربها عن الدوران العشوائي، وعادتْ إلى طبيعتها، وبدأ الزمنُ يتدفقُ بدقةٍ وانتظامٍ وسلاسة.

وما إنِ اعتدل الزمنُ حتى ظهرتْ بوابـــــةٌ جديدة برَّاقة، فهمسَ دعلج قائلًا: "حانَ وقتُ الرحيلِ يا كريم.. لكنْ تذكَّر أنَّ «عالمَ العجائب» دائمًا هنا، ونحنُ بانتظارك عندما ترغب في العودة إلينا".

ودَّع كريم الجمـــــيع وعيناه تدمعان: "لن أقولَ وداعًا، أشـــــعرُ بأنَّي سأرجعُ مرَّةً أخرى".

أعطته زيتونة فقاعةً كتبتْ عليها: "لا تنسَ إلقاء النكات المرحة".. أما زيتون فأعطاه كتابًا صغيرًا بعنوان: "حِكَمٌ من عالم العجائب".. شـــكرهم كريم ثم اقتربَ من البوابة، فغاصَ في داخلهـــا، وغطسَ في نومٍ عميق لا يدري كم اســـتغرقَ من الوقت، وعندَما استيقظَ وجدَ نفسَه مُستلقيًا على السِّجادة وسطَ مكتبةِ جدِّه.

الريشة المتوهجة كانت تلمعُ على السِّجادة قريبًا منْه، وكذلك الكتَاب..

فتحه فوجد فقرة مكتوبة بخطٍ جميلٍ على الصفحة البيضاء الأولى من الكتاب، موقعةً باسم زيتون وزيتونة: «لكلِّ قصَّةٍ باب، ولكلِّ باب مفتاح، فاطرقِ الباب الذي يعجبك واكتبْ وارسم ما تشـــاء من قصص، أينما.. وكيفما.. ووقتما تشاء، فسوف تجدنا بقربك دائمًا.. ففي خيالك الخصبِ قصصٌ لا تنتهي، وفي عالمك أبوابٌ مشرَّعة على أساطير لا حدَّ لها».

وفيما هو يتأمَّلُ هذه الكلمَة قطعت أفكاره القطة «ميســـو» بعدما قفزتْ نحوه وحركتْ ذنبها بغضب، وراحتْ ترقصُ وتموء كأنَّها تعاتبه قائلة: "لماذا لمْ تدعني إلى الحفلة الزمنية؟".

انفجرَ كريم ضاحكًا وقال: "ميسو ملكة الرقص"..

فجأة تحوَّلتِ السجادة إلى منصَّةِ رقصٍ متوهِّجة، وبدأت «ميسو» ترقص كما لو كانتْ نجمة عالمية.. عندها ظهرت فقاعة منْ زيتونة تحملُ رسالة: "حتى القطط تحتاجُ إلى مغامرة".

أيقنَ كريم أنَّ «عالم العجائب» لا يزال قريبًا منه، وأنَّ الشـــجاعة والضَّحك يحولان أي موقفٍ إلى قصَّة لا تُنسى، وأنَّ الخيالَ يبقي السَّاعات دائرة حتى في الزمن المنكسر، وينتصرُ على أيِّ إعاقة.

ومنذ ذلك اليوم أصبحَ كريم يكتبُ ويرســـمُ يوميًّا، مستلهمًا الصورَ الأفكارَ والأحلامَ والخيالات والضحكات.. من مغامراته.. أدركَ أنَّ الخيالَ لا يســـكنُ فقط في «عالم العجائب»، بل في كلِّ لحظة يختارُ فيها أن يكون شجاعًا، منقذًا، مضحكًا، صادقًا.. ومحبًّا لنفسه وللآخرين.

وبدأت سلسلة منْ رســـومه وكتاباته تتوالى من وحي «عالم العجائب»: كلُّ يومٍ مغامرة.. ضحكةٌ واحدة لا تكفي.. الأحلامُ تغيِّرُ الواقع.. الثقةُ مفتاحُ الأبواب المغلقة.. ركِّزْ على قوَّة التغيير.. الصَّداقةُ دعم.. الخيالُ بحرٌ بلا شاطئ...

وغيرها كثير...

المشهد السادس عشر
بحر الأمنيات المتشابكة

بعد ذلك بأيَّام، وفي ليلةٍ هادئة، جلسَ كريم في غرفته يكتبُ ويرســـم قصةً جديدة عن تنينٍ يحبُّ الرقص.. بدأتِ الريشة المتوهجة تهتزُّ على مكتبه كأنَّها تريدُ القفز.. توقفَ كريم، نظر إلى الكتاب الصغير الذي أعطاه إيَّاه زيتون، فتحهُ بحذر، فوجد صفحة جديدة لم تكن موجودة من قبل، مكتوب عليها بحبر متلألئ: "البابُ الثالث: مفتاحُ الأمنيات".

رأى رســـمًا لبابٍ دائري مخفي في أرضيَّة مكتبة جدِّه، تحيطُ به نقوش تشبه موجات متشابكة.. تمتمَ كريم، وقلبُه ينبضُ بالإثارة والحماسة: "باب ثالث؟ يا للروعة.. يبدو أنَّ «عالم العجائب» لا يريدني أن أرتاح".

أخذ الريشةَ المتوهجة وتســـلَّل إلى المكتبة، متجنبًا الألواحَ الخشبية التي تصدرُ صريرًا.. تحت السِّجادة القديمة التي تفوحُ منها رائحةُ المَاضي الجميل، وجدَ لوحًا خشـــبيًّا دائريًّا محفورًا بنقوشٍ شجرية.. خطَّ على الهواء بريشته: «افتحِ البابَ الثالث».. ارتجفَ اللوحُ وانفتحَ بصريرٍ خافت، كاشفًا دوامة زرقاء مائلة إلى الفضي، فاحتْ منها رائحةُ المطر وحلوى الخطمي بالفستق.

قال كريم بعد أن أخذَ نفسًا عميقًا: "إما أنْ أجد مغامرةً جديدة، وإما أصبح سمكَة زينةٍ ملونة".

ثمَّ قفزَ مباشرةً في قلبِ الدوَّامة ووجد نفسَه على شاطئ رملي واسع لامع.. المدهش أنَّ الرمالَ كانتْ تتحرَّك بطريقة مثيرة، وتصنع أشكالًا متنوعة من الأصداف والأحياء البحرية، كالأسماك والحيتان والدلافين بأحجام مختلفة.. ثمَّ تعود إلى طبيعتهـــــا.. فيما امتدَّ أمامه بحرٌ هائل لا تظهر له نهاية، لكنَّه لم يكنْ بحرًا عاديًّا..

كان بحرًا وهَّاجًا من خيال... أمواجه ملونة هائمة.. تصعد وتهبطُ مكونةً تلالًا وجبالًا بينها وديان.. والسماءُ كانت مرآة تعكسُ هذا البحر المترامي، ما جعلَ كريم يشعرُ كأنَّه داخل كرة زجاجية عملاقة..

فجأة دوى صوتٌ مألوف: "يا مرحبًا بفتى الأرض".

كانت زيتونة.. جاءت تتزحلقُ بلوحِها على موجة شاهقة.. اللوح هذه المرة كان مزينًا بأصداف تطلق فقاعات موسيقية.. ورذاذ البحر يغطي قبعتها القشية.. قالتْ بسعادة بالغة: "مرحبًا بأجمل الفتيان.. «عالم العجائب» يفتقدك.. هذا بحرُ الأمنيات التي ينساها الناس أو التي يفشلونَ في تحقيقها".

قبل أن يردَّ كريم، هبط زيتون منَ السَّـــــماء على مظلةٍ ورقية، وكانت لحيته متشابكة بخيوطٍ متوهجة من البحر.. هبط برشاقة لكنَّه تعثر قليلًا، ما جعلَ زيتونة تضحك.. قـــــال زيتون وهو ينفضُ لحيته: "أهلا بكريم صديقنا الوفي.. اســـــمع.. البابُ الثالث فُتح في وقتٍ حرِج.. مفتاح الأمنيات الذي يحافظ على توازن الأحلام في «عالم العجائب» سُرِقَ من قِبل قرصانة الأمنيات المشوهة،

وهي مخلوقٌ يعيش على تشويه أمنيات الآخرين.. إذا لم نسترجعْه، ستصبحُ كلُّ الأمنيات فوضى، وربما تتسرَّبُ إلى عالمك فتدمره".

قال كريم، وهو يحكُّ رأسَـــــه: "فوضى الأمنيات؟ شيءٌ رائع... تخيلْ لو تمنيتُ سيارة تطير، أو شلالًا من الآيس كريم لا يتوقف عن التدفق.. لكنْ، ماذا لو تمنَّى الجميع أشياءً مجنونة فتحققت!".

ضحكتْ زيتونة وأطلقت فقاعة: "آيس كريم للجميع".

ثمَّ أردفتْ: "المشكلة أنَّ قرصانة الأمنيـــــات تحققُ الأمنيات بشكلٍ خاطئ ومشـــــوَّه.. تخيلْ أنْ تتمنى طائرة، فتحصل على طائرةٍ بحجم نملة، أو تتمنى التحليقَ مثل الطيور، فتصبح منطادًا يجوب العالم".

رفعَ كريم يديه مازحًا: "حسنًا.. ســـــأكونُ إذنْ منطادًا أنيقًا، فأنا أحبُّ السَّفرَ والرحلات البعيدة.. لكنْ أين نعثرُ عليها؟".

زيتون أشارَ إلى البحر: "يجبُ أنْ نعبرَ بحرَ الأمنيات إلى جزيرةِ الأمنيات المكسورة.. لكنَّ هذا البحر خطير جدًّا.. الأمنياتُ فيه تتشابك، والأمواجُ عالية عاتية، قد تحملك إلى أمنيةٍ غير مناسبة، أو غير مرغوب فيها، فتوقعكَ بالمحظور".

المشهد السابع عشر
الأملُ مع العمل

انطلقَ الثلاثة في قاربٍ من الصَّدف يطفو بقوَّة الأمنيات.. وفيما هم يمخرونَ عبابَ البحر، بدأتْ خيوط الأمنياتِ تلتفُّ من حول رؤوسهم مثلَ العمامة، وتهمسُ لكلٍّ منهم: "تمنَّ الشـــــهرة. تمنَّ كنزًا من ذهبٍ لا ينتهي. تمنَّ ألَّا تخاف أبدًا حتى لو كنتَ ببطن حوت. تمنَّ ما تشاء..".

أحسَّ كريم بأمنية قديمة تقفزُ في قلبه بأنْ يكونَ كاتبًا ورسامًا عظيمًا يلهم العالم.. وما إنْ فكَّر بأمنيتـــــه حتى التفَّت خيوطُ الأمنية حول رقبته بدلًا من رأسه، وهمست له: "لكنْ.. ماذا لو فشلتَ؟ تمنَّ شيئًا أسهل".

زيتونة أمسكت يده: "لا تستمعْ.. الأمنياتُ هنا مثل طرائفي السيئة، صحيحٌ أنها تبدو ماتعة أحيانًا، لكنَّها قد تفسدُ كلَّ شيء".

وضعَ كريم يديهِ على أذنيه لكي لا يســـــمع.. ومضوا في سبيلهم حتى وصلوا إلى جزيرةٍ مغطاة بأشجار عالية أغصانُها متشابكة، كل غصن يحملُ أمنيةً متجمِّدة.. في الوسطِ كانت تقفُ قرصانة الأمنيات المشوَّهة.. تشبِه سحابة

مكونةً من خيوط متلألئة، بعيونٍ كثيرة تلمع، وفي يدها مفتاحٌ يشبهُ قوسَ قزح صغير..

قالتْ: "أنتم هنا منْ أجلِ مفتاح الأمنيات، أليسَ كذلك؟ لماذا؟! هل هو مهم إلى حدٍّ أنكم تتجشمونَ عناءَ المغامرة الخطرة.. دعوني أحتفظ به، وسأحقق أمنيةً واحدة لكلٍّ منكم... لكن بشروطي".

قالَ كريم بحزم: "شكرًا.. لا نريد.. أمنياتنا ليستْ للبيع ولا للمقايضة.. أعطينا المفتاح فورًا، أو ستواجهين قوَّةَ خيالنا الفتاك".

لوحتْ زيتونة بعصاها وصاحَتْ: "نعم.. خذي منِّي الآن نكتة ســـــخيفة؛ لماذا ذهبتِ الأمنيةُ إلى صالةِ الألعاب؟ لتصبح أقوى".

ابتسمتِ القرصانة بمكرٍ وقالت: "حسنًا.. إذا كنتم مصرين؛ عليكم أنْ تجتازوا لغزَ الأمنيات.. أعطوني أمنية لا يمكن تشويهها وتزييفها".

فكَّر كريم بعمق.. فيما تمتمت زيتونة: "إمممممممم".

ابتســـــم كريم وقال: "الأملُ مع العمل.. مهما حاولتِ، لن تهزمي الأملَ إذا اقترن بالعمل".

جفلتْ واحمرَّت عيناها: "الأملُ مع العمل؟ أمنية لا يمكنُ التغلُّب عليها"..

ارتجفتْ وتراجعتْ إلى الخلف.. اهتزَّ المفتاحُ في يدِها.. اشتدَّتْ حرارته.. لسعَها حتَّى أرخَت قبضتها عليه، فحلَّق وحوَّم في المكان ثمَّ استقرَّ في يدِ كريم.. وعلى الفور اهتزَّ بحرُ الأمنيات كأنَّ عاصفةً كونيَّة تضربه..

الأمواجُ بدأت تشكِّل دوَّاماتٍ عملاقة، تُطلِق أمنياتٍ مشوهة: فيل بحجم قطة.. طيور من چيلي.. طفل برأس تفاحة.. أرنب بريش دجاجة.. سـحابة تتحدث بطريقة فجَّة.....

صرختْ زيتونة وهي تتفادى موجةً مدمرة: "هذه أسوأ أيامي".

صاحَ زيتون: "القرصانةُ الشِّريرة أطلقت فوضى الأمنيات.. إذا لم نضعِ المفتاحَ في مكانهِ في قلبِ البحر، سيغرقُ «عالم العجائب» في الأمنياتِ المشوَّهة".

شـدَّ كريم قبضتَه على المفتاح وكانَ ينبضُ بدفءٍ فلا يؤذي يدَه، بلْ يُشعره بالرَّاحة والطمأنينة.. نظرَ إلى وسط البحر، كانَ هناك دوَّامة كبيرة متوهِّجة تشبه عين عاصفة.. قالَ بقلق: "لنْ نتوقفَ حتَّى نصلَ إلى الهدف".

لوَّحت زيتونة بعصاها وأطلقتْ فقاعة ضخمة: "فقاعة الضَّحك ستحمينا كمَا أنَّها ستجعلُ الرحلة ماتعةً أكثر".

اندفعت الفقاعة داخل الدوامة.. الأمنياتُ المشوَّهة ضربت الفقاعة..

نسخةٌ صغيرة من كريم لوَّحت له وهي تركض كأنَّها في سباق.. قالَ بدهشة: "هذا أناااااا.. يا للغرابة".

ضحكَ زيتون: "إنَّها أمنية مشوهة.. ربما تمنيتَ يومًا أنْ تكون بطلَ سباق الجري".

وصلوا إلى جوار الدوَّامة.. أســـــرعوا نحوَها، فيما كانَ مفتاحُ الأمنياتِ يتوهجُ وينبضُ بشـــــدة في يد كريم، وكلما اقتربوا من الهدف ازدادَ المفتاح توهجًا واهتزازًا.. كانَ الموجُ عاتيًا، وضخمًا مثلَ جِبالٍ عالية، والرِّياح سريعةً وقويَّة مثلَ طائرات حربيَّة..

سمِعوا صوتًا لطيفًا يأتي من مكانٍ قريب: "مرحبًا بكم يا أبطال الأمنيات.. نحنُ ننتظرُكم من زمنٍ بعيد.. كدنا نيأسُ من وصولِكم".

التفتَ كريم فرأى موجةً ناعمةً تتَّجـــــه نحوَهم، أدرَكَ أنَّها الهدف، رفعَ يده وقذَفَ المفتاح في قلبِ الموجَة قائِلًا: "الأملُ يهدئ البحر".. وعلى الفور هدأَ البحرُ وظهرتْ سمكة ذهبية ترتدي قبعة قرصان، وقالت: "أحسنتَ يا فتى الشَّجاعةِ والأمل، تمنَّ كلَّ شيء لكنْ لا تتمنَّ أن تصبحَ سمكة".. ثمَّ أعطته قلادة: "بطل الأمل".

القرصانةُ الشريرةُ ظهرتْ مرَّة أخرى، أكبر وأكثر غضبًا: "لنْ تنتصروا.. أعيدوا إليَّ مفتاحَ الأمنيات إنَّه ملكي".

رفعَ كريم يديه معلنًا النصرَ، وردَّد كلماته عنِ الأمل ليغيظها.. وصرخ: "الأمنياتُ ليستْ ملكك.. إنَّها ملكُ مَن يجرؤ على الحلم".

وخطَّ بالريشةِ المتوهجة: "أتمنى أنْ يعودَ الأملُ وألا ينقطع في عالم العجائب".

اندمجَ وهج الريشـــــة مع البحرِ وكوَّنا موجة أمل ضربتِ القرصانة الشريرة فصرختْ وهي تنازعُ وتتلاشى، تاركة خيوطَ أمنياتٍ تتحول إلى فراشات جميلة لامعة.. وبعدَ أنْ وضعَ كريم المفتاحَ في مكانِه وتلاشـــــت القرصانة الشريرة

وهدأ البحر، عادتِ الأمنياتُ المشـــوَّهة إلى أشكالها الحقيقية.. وظهر دعلج على فراشة عملاقة مصفِّقًا: "أحسنتم يا شباب الأمل.. أنتم أقوى أمنية.. لكنْ تذكَّروا أنَّ كلَّ أمنية تحتاجُ إلى العملِ بشجاعةٍ حتى تتحقق".

اقتربَ زيتون وزيتونة من كريم ليودعاه.. أعطياه فقاعةً جديدة وصفحةً من كتابٍ جديد..

زيتونة: "هذا وداع مؤقَّت.. فإلى لقاءٍ آخر".

زيتون: "لكنْ.. لا تنسَ أنْ تحافظَ على خيالك".

هنا شعرَ كريم بإرهاقٍ شديد.. وأغميَ عليه.. حملَه زيتون مع زيتونة وأوصلاه إلى الباب الذي جاء منه.. وألقياه بداخله حتى سقطَ في مكتبة جدِّه.. وبعد أنِ استعاد وعيَه وجد «ميسو» تقفُ على صدره وهي ترتدي قبعة قرصان.. قهقه كريم من شكلها المضحك، رغم كل التعبِ الذي يشعرُ به.. وقال: "حتى أنتِ يا ميسو".

المُغامَرةُ الأخيرة كانت خطرة ومرهقة، لكنَّها جعلته يؤمنُ بأنَّ الشـــجاعة والأمل والعمل والإصرار صفاتٌ تزرع القوَّة والجسارة في قلب صاحبها، مهما كانت المواجهة صعبة.

المشهد الثامن عشر
مفتاح النجوم

وبعد أيام.. وفيما كان كريم يجلسُ في المكتبة.. تأمَّل الريشـــــة فوجدها لا تزال متوهجة، ووجد كتاب "حكم من عالم العجائب" مفتوحًا على صفحةٍ جديدة.. ألقى نظرةً على الصَّفحةِ وقرأَ: «البابُ الرابع.. عالمُ النجوم». ابتســـــم ابتسامة هادئة وقال: "عالم العجائب لا ينتهي".

سمع صدى يتردد في خياله: "لا تخشَ شيئًا، أمنياتك تصبح معجزةً لمَّا تبدو الأمور مستحيلة، ركِّز على: الأمل، الصبر، الشجاعة، العزيمة، التصميم"..

حدَّق إلى الكتاب فرأى رسمًا لبابٍ جديد في منتصف جدار المكتبة.. الريشة عادت تهتزُّ وتتوهج أكثر لتحثَّه على التحـــــرك. تمتم: "مهلًا.. مهلًا.. يا «عالم العجائب»، يبدو أنَّك لا تعرفُ الملَل ولا الكلل"..

توجَّه نحوَ الجدار.. تجنَّـــــب قطةَ جدِّه التي كانت تنظر إليه كأنَّها تعرفُ خطته، وقفَ مقابل الجدار وكتبَ بالريشة المتوهجة: «افتحِ البابَ الرابع».

توهج الجدار وانفتح باب دائري متلألئ كأنَّـــه بوابة إلى الفضاء.. وعلى الفور شفطته دوَّامة من ضوءٍ نجمي ورمته على سحابةٍ ناعمة تطفو في سماء لا نهائية ملأى بالنجوم.. لكنَّها لم تكن نجومًا عادية؛ بعضها كان يغني بأصوات طفولية.. وبعضها كان يضحكُ ويطارد الغيومَ كأنَّه يلعبُ معها لعبة الغميضة.. وبعضها كان باهتًا كأنَّه ينتظرُ فرصة مناسبة ليلمعَ من جديد.

لكن الفضاءَ حوله لم يكنْ ثابتًا.. كانَ يتغيرُ باســـتمرار، مع كواكب من قطنٍ أبيض، ومذنباتٍ سريعة الحركة، ترســـمُ أذيالًا من بريقٍ لا ينطفئ.. فقال: "يا للروعة.. إنَّها لوحة فضائية ساحرة.. أريد أن أرسمَها بريشتي المتوهجة"..

حاولَ التوازن على السحابة..

فجأة، دوَّى صوت مألوف: "مرحبًا بكَ يا نجم الأرض.. هل أنتَ مســـتعد لتكون شهابًا؟".

كانت زيتونة تطير على لوح تزلج على شكل نجمةٍ ذهبية، مزينٍ بأضواء وامضة.. هبطت إلى جانبه، وقبعتها القشـــيَّة مرصعة بنجومٍ صغيرة تتحركُ كيراعات مضيئة، قالت: "أهلًا بك في سماءِ النجومِ الضائعة، إنَّه المكانُ الذي تذهبُ إليهِ النجومُ المنسية، أو التي توقفتْ عنِ البريق.. لكنْ توجد مشكلة كبيرة"..

وقبل أن تشـــرحَ لكريم ظهر زيتون يطفو داخلَ فقاعةٍ فضية تشبه سفينةَ فضاء صغيرة.. لحيته كانت متشابكة بخيوطٍ نجمية وبقايا ذيل مذنب هائم، وفي يدِه خريطة على شكل كوكـــب.. قال: "مفتاح النجوم، الذي يحافظُ على تألقِ «عالم العجائب»، سرقه جامع النجوم، وهو مخلوقٌ يحبُّ جمع النجومِ ليحتفظَ بضوئِها ولمعانها لنفسه.. إذا لم نسْترجعه، سيصبح «عالم العجائب» مظلمًا... وربما عالمك أيضًا".

تعجبت زيتونة: "مظلمًا!!! يعني لا ضوء فيه، لا نكات، لا آيس كريم.. هذا أسوأ منِ انقطاع الإنترنت".

أطلقت فقاعةً كتبت عليها: «كارثة كونية» ثم قالت: "جامعُ النجوم ليس شريرًا بالضَّرورة، لكنَّه أناني ويعتقـــد أنَّ النجومَ ملكه، يجب أنْ نصلَ إلى قصره في قلب الفضاء، لكن الطريق مملوءٌ بالنجوم المزاجية".

انطلق الثلاثة على سحابةٍ طائرة.. تفادت السحابة نجومًا تغني وأخرى تلقي نكاتًا

هزلية: "لماذا ذهبَ القمر إلى السينما؟ لكي يصبح نجمًا سينمائيًّا".

ضحك كريم هذه المرة وقال: "إنَّها نكتة جيدة".

التفت فلاحظ أنَّ هناك نجومًا حزينة باهتة، همست إحداها له: "لقد أهملنا الجميع.. لم تعدْ لنا قيمة".

شعر كريم بألمٍ يعصرُ قلبه.. تذكر كيف كانَ يتألمُ عندما يرى أصدقاءه لا يأبهونَ به ولا يهتمون بقصصه.. همسَ لزيتونة: "هل يمكننا مساعدة هذه النجوم؟".

قالت: "هذا كريم الذي أعرفه.. ربما إذا أعدنا المفتاح ستتألَّقُ النجومُ من جديد".

وصلوا إلى قصر جامع النجوم.. بناء متلألئ مبني من ضوء النجوم المسروقة، مع أبراج تشبه المجرَّات المصغرة.. في الداخل، كان جامعُ النجوم، وهو يشبه سحابة كونية بعيونٍ متوهِّجة، يرتدي عباءة تتدلى على جوانبِها نجومٌ مقيدة بسلاسل فولاذية.. وفي يده مفتاح من ألماس على شكلِ نجمة هلامية..

قال بصوتٍ كرنينِ الجرس: "مرحبًا بزوارنا الأعزاء.. بالتأكيد أنتم هنا من أجل مفتاح النجوم.. لا بأسَ عليكم.. لكنْ ما رأيكم بأن تصبحوا نجومًا في مجموعتي الخاصة؟".

تقدَّم كريم وقال بحدَّة: "النجومُ ليست للاقتناء.. إنَّها حرَّة، وستبقى حرَّة، تلمع في السماء للجميع.. أعطنا المفتاحَ أو عليكَ أن تواجه نكات زيتونة السمجة".

لوحت زيتونة بعصاها وقالت: "لماذا النَّجمة تخلَّت عنِ النجومية؟ لأنَّها تريد أنْ تتحولَ إلى مصباح".

غضبَ جامعُ النُّجوم: "لا تزعجوني بهذه النكات السخيفة.. إذا أردتم المفتاح، عليكم أن تجتازوا لغز النجوم: هيا.. أعطوني اسم نجمةٍ لا يمكن استلابها".

فكَّر كريم.. تذكَّر النجوم الباهتة، قال بثقـــــة: "نجمة العطاء.. إنَّها تتوهجُ في القلوبِ الطيبة ولديها قوة لا تُضاهى".

احتقنتْ عينا جامعِ النجوم وتراجع بغيظ بالغ وقال: "العطاءُ نجمةٌ لا يمكنُ الســـــيطرة عليها".. ثم ألقى المفتاح في الهواء مقرًّا بخسرانِه، فالتقطه كريم بسرعة.. وعلى الفور بدأتِ النجومُ المسجونة تهتزُّ بعنف، كأنَّها تهدد بتحطيم القصر.. هاجت وتحولتْ إلى دوَّامات..

أطلقـــــت زيتونة صرخة صاخبة وقالتْ: "لمـــــاذا النجمةُ ذهبت إلى النادي الرياضي؟ لتتوهج عضليًّا".

قال كريم: "كلُّ نجمة تتوهجُ بنجاحها"..

فجأة هدأت النجوم، فوضع كريم المفتاح في منصةٍ باهتةٍ فعادت السـماء لامعة، وظهر دعلج وهو يقول: "العطاء لا بدَّ أن يضيءَ السَّـماءَ في نهاية كلِّ مغامرة مهما كانت صعبة".

ودَّع كريم زيتونة وزيتون من جديد، وأعطياه هذه المرَّة كتابًا مختلفًا بعنوان «تألَّق دائمًا»، ثم عاد كريم إلى مكتبة جدِّه نشيطًا، فوجد «ميسو» ترتدي تاجًا نجميًّا.. فتساءل: "أينَ نجمتي؟".

السِّجادة تحولت فورًا إلى نجمةٍ طائرة، وحلقتْ إلى أعلى المكتبة حتى غطَّت سقفها.. ضحك كريم ونسيَ كلَّ ما واجهه من تعبٍ وخطر.. كان سعيدًا لأنَّ الأملَ والخيالَ والعطاءَ والنَّجاح نجوم تضيء أي ظلام.

وفي ليلة تالية، بينما كانَ يراقبُ النجومَ من نافذته، توهجت الريشـة بأبهى جمالها، وظهرت رسـالةٌ في السماء: "عالم العجائب دائمًا معك.. استمر في التألق.. مع تحيات زيتونة وزيتون".

ابتسم كريم، وكتبَ قصَّة جديدة عن فتى يجد نجمةً داخل قلبه.. لقد أدرَك أنَّ الخيال ليس فقط في «عالم العجائب»، بلْ في كلِّ لحظةٍ يختارُ فيها أن: يحلمَ، ويضحكَ، ويؤمن بنفسه.

المشهد التاسع عشر (الأخير)
مهرجان الكون الضاحك

لمْ يصادف كريم بعد ذلك بابًا جديدًا في المكتبة.. لكنَّه عندما يكتبُ قصةً أو يرسمُ لوحة، يسمعُ ضحكة زيتونة من بعيد ويرى وميضًا نجميًّا.. ربَّما كانَ «عالم العجائب» يطلبه لمغامـــــرةٍ أخرى.. أو ربما كانَ يريدُ أن يخبره أنَّ لكل قصة بابًا، ولكل حلم نجمة.

وفي يوم مشمس، فيما كان كريم يروي قصةً جديدة لأخته وأصدقائه في فناء البيت، سألته أخته: "هل ستعود إلى «عالم العجائب» يومًا ما؟".

نظر كريم إلى السَّماء حيثُ كانتْ نجمة صغيرة تتوهَّج رغمَ ضوء النهار الساطع، ضحكَ ودار بينهما حوار:

كريم: "مَن يدري؟ ربما الباب التالي في قصتي القادمة... أو في قصتكِ".

أخته: "لكل نجمةٍ في قلبكَ قصةٌ تنتظر أن تُروى".

كريم: "لم أعد أخشى قصصَ الأبواب المغلقة، فالخيالُ هو المفتاح".

أخته: "القصصُ لا تنتهي يا كريم، بل تفتح أبوابًا جديدة... فما الذي ســـــتكتبه بعد ذلك؟".

كريم: "سأركِّزُ على الأملِ والخيالِ والعطاءِ وقبولِ الذات، مع نهايات تلهم الإبداع".

وعاد كريم إلى مكتبة جدِّه ليقلب كتاب «حِكَم من عالم العجائب».. الريشة المتوهجة في جيبِه كانَت تهتزُّ بقلقٍ كمَن يترقبُ شيئًا جديدًا.. وفجأة، اهتزَّت صفحةٌ في الكتاب،

وخرجتْ منها عبارة تقـــــول: «حالبابُ الخامس.. مهرجانُ الكون الضاحك»، وظهر أمامه رســـــمٌ لباب متلألئ معلَّق في منتصفِ المكتبة، محاط بنقوش تشبه فقاعات صابون تتحولُ إلى وجوه مبتسمة.

أشـــــرقَ وجهُ كريم، وعيناه لمعتا بالإثارة.. وخطَّ بالريشة المتوهجة: «افتح البابَ الخامس».. ارتجَّ الجـــــدار، وانفتح باب دائري ينبضُ بألوان قوس قزح، تفوحُ منه رائحة حلوى العســـــل.. دنا منَ الباب فسحبته دوَّامةٌ جديدة، وسمِع أصواتًا تشبه شقاوةَ الأطفال في مدينةِ الملاهي.

هبط كريم على منصة عائمة في فضاء لا نهائي.. الكواكبُ كانت تضعُ قبعات مهرِّجٍ وتتمايلُ كأنَّها في مســـــرح مدرسي.. النجومُ كانتْ تغني أغنيةً صاخبة، وبعضها يرمي بالوناتٍ ملأى بالبريق كأنَّها نجوم صغيرة لامعة.

في الوســـــط، كانَ هناك خيمة كونية ضخمة، مزينة بأضواءٍ وامضة، ولافتة

تقول: "مهرجان الكون الضاحك: العبوس ممنوع".

صرخَ كريم، وهو يتفادى بالونًا انفجَرَ وفاحَتْ منهُ رائحة الكراميل: "يا للروعة، أنا في حفلةِ عيد ميلاد الكون".

فجأة، هبطتْ زيتونة على لوحِ تزلـــــج على شكلِ دونات لذيذة، مزينة برذاذ السكر.. قبعتها القشيَّة كانت مرصعةً بنجومٍ تطلق نكاتًا: "لماذا الكوكب ذهبَ إلى الحفلة؟ لأنَّه أراد أنْ يدور".

صرخت: "مرحبًا يا بطلَ القِصص.. المهرجانُ في خطر، وأنتَ مدعو لإنقاذه".

قبلَ أنْ يردَّ، ظهرَ زيتون، يطفو على ســـــجادة طائرة ترتجفُ كأنَّها خائفة من الارتفاع.. ولحيته كانتْ متشـــــابكة بخيوط بريق، ونظارته الشمسية مائلة بشكل درامي مضحك.. قال: "ملكُ العبوس اســـــتولى على مفتاحِ الضحك، يريد أن يحوِّلَ الفرحة إلى غصَّة.. إذا لم نقمْ بواجبنا سيغدو الكونُ كله كئيبًا".

قال كريم: "يا للعجب.. لا نكات ولا حلوى ولا «ميسو» ترقص؟ هذا أسوأ من انقطاعِ الكهرباء في يومِ مباراة كرة قدمٍ عالمية، وتحديدًا في التصفيات النهائية".

زيتونة أطلقت فقاعة كتبتْ عليها: «إنها كارثة كونية» وأردفت: "ملكُ العبوس يختبئ في خيمة المزاجِ السيِّئ، لكنَّ الطريق مملوء بالتحديات: مطبَّات من تنهيدات، حفرٌ وأوتاد متروسة.. نجوم تشتكي، وكعكات تبكي بدلًا من الغناء".

انطلقَ الثلاثة على ســـــجادةِ زيتون التي تفادتْ سحابةً تغصُّ: "لماذا أنا موجودة؟".

كريم حاول التخفيفَ عنها بدعابة: "السَّـــحابة ذهبت إلى المدرسة لتتعلمَ أغنية المطر".

لكن السَّحابة أمطرتْ عصيرَ ليمون حامض.. أما زيتونة فقالتْ بإحباط: "هذه أسوأ نكتةٍ منذ اختراعِ الهاتف النقال".

وعندما وصلوا إلى خَيمةِ المزاج السَّيئ، وجدوا أنَّه مكانٌ بئيس تعيس يكمد القلب، ينبعثُ منه صوتُ شـــهيق وزفير.. زيتونة لوَّحتْ بعصاها وقالت: "الخيمة حزينة لأنَّها لم تُدعَ إلى حفلة".. لكنَّ الخيمةَ ردَّت بنفثةِ دخانٍ كئيبة.

في الداخلِ، كانَ ملك العبوس نائمًـــا.. متقوقعًا كحزمةِ حطب متجهمة، ويرتدي عباءة منْ خشب.. كان يُمسكُ بيده مفتاحًا رماديًّا يشبُه بالونًا شاحبًا من الحزن.. اســـتفاقَ على حركتهم، وقال بصوت ناعس: "مرحبًا.. مرحبًا.. أتريدون المفتاح؟".

ثم زمجر قائلًا: "ابقوا هنا إلى الأبَد.. وتنغَّصوا".

أجابه كريم بضحكة مزلزلة وقال: "لا.. أيها المتجهم".

ثمَّ كتبَ بالريشة المتوهِّجة: «الفرحُ يهزمُ النكد».

ظهرت فقاعة ضخمة أطلقتها زيتونة، كتبت عليها: «لماذا لا يتكلمُ السمك بالهاتف؟ أنه يخشى شبكة الاتصالات».. فضحكَ كريم حتى كاد يسقطُ من السجادة..

ملك العبوس رفـــع يدَه، فظهرت ثلاثُ بوابات كئيبة، كلٌّ واحدة منها تحمل

تحديًّا، وقال لهم: "اجعلوا شيئًا حزينًا يضحك".

دخل كريم الباب الأول، فوجـــــد كوكبًا يبكي لأنه نسي خطوات الرقص.. كتب: "رقصة السيف تُصلح كل شيء".. فبدأ الكوكب يرقص وصفَّق الجميع.

زيتونة دخلت الباب الثاني، فرأتْ كعكة كئيبة.. أطلقتْ نكتة: "قمَّة الأدب أن تقرعَ باب الثلاجة قبل فتحه".. وعلى الفور تحوَّلت الكعكة إلى فرقة موسيقية، تعزف لحنًا مرحًا.

زيتون واجه نجمةً تشـــــتكي من عدم التألق.. كتـــــب: "كل نجمة.. نجمة".. فتوهجتْ النجمة كألعابٍ نارية.

غضبَ ملك العبوس وصاحَ مستنكرًا: "كيفَ تجرأتم على هزمِ عبوسي؟".

تردَّد كريم لحظة، شعرَ بأنَّ ساقيه العاجزتين تثقلانه، لكنَّ قلبه تذكَّر كلَّ ضحكة شاركها، وكلَّ تحدٍّ تجاوزه.. عندها رفعَ شارة النصر في يد، والريشة المتوهجة في يد، وقال: "لأنَّ الضحكَ قوةٌ خارقة".

اندمجَ ضوءُ المفاتيح، مكونًا موجة ضحك حولت الخيمةَ إلى مدينة ملاهٍ..

قفزت زيتونة وخطفتِ المفتاح، فيما تحوَّل ملكُ العبوس إلى منطادٍ يطفو بعيدًا، وهو يتمتم متوعدًا: "سأعودُ حتمًا.. سأعودُ حتمًا".

لكن المفاجأة جاءت.. المفتاحُ لم يكن لإصلاحِ المهرجان فقط، بل فتحَ بوابةً إلى الأرض.. فعندما أدخل كريم المفتاحَ في منصةٍ متوهجة، انفجرت السماء

بضوءٍ فاقع، ووجدَ نفسَه على الفور في فناء مدرسته، محاطًا بأصدقائه..

زيتونة وزيتون تبعاه عبر البوابة.. «ميســـــو» قفزت وهي ترتدي قبعة مهرّج، وماءت صارخة: "أنا ملكة الحفلة".. وظهرت كتب «عالم العجائب» في السماء تحلّق فوقَ المدرسة، وتردد: "كريم بطل الكون.. كريم بطل الكون".

تحولت السَّاحة إلى مهرجان صاخب: طلابٌ يرقصون.. معلمونَ يلقون نكات.. وحتى مدير المدرسة يغني وهو يركب دراجة كراميل.

زيتونة أطلقت فقاعات كتبت عليها: «الضحك يغير العالم».

زيتون وزَّع كتيبًا صغيرًا: «حكم المهرجان».

وأصبح كريم «فنان العالم وراوي الكون الضاحك»..

انتشرتْ رســـــومَه وقصصه في كتبِ العالم ومعارض الكتاب وقاعات الفن التشكيلي، ملهمةً الصغار والكبار لكتابةِ مغامراتهم ورسمها..

لكنَّ النهاية كانتْ غير متوقعة.. «ميسو» فتحت مكتبة الجد إبراهيم لتكون بوابة دائمة لـ «عالم العجائب».. وأصبحت المدرسة مركزًا للمغامرات والأبحاثِ والعلوم والضحكات، حيث يقفز الطلاب عبر البوابة، يواجهونَ كعكات طائرة، ويعودونَ بقصص تضيء العالم.

وفي ليلة هادئة، بينما كانَ كريم يكتبُ ويرسم قصَّة جديدة، توهجت الريشة بشدَّة، وظهرت رسالة: "المهرجانات لا تنتهي.. مع تحيات زيتونة، زيتون، ميسو"..

كتب كريم: "الفرح، الشجاعة، الخيال، العطاء، الإصرار.. صفات تفتح كلَّ باب، وكلُّ قصة مهرجان تبدأ بضحكة".
هبَّت نسمةٌ غريبة تحملُ رائحة السُّكر والكراميل، ورفرفت أجنحةُ الفراشات والطيور على شكلِ ضحكاتٍ صغيرة.

لمحَ كريم الريشـــــةَ المتوهِّجة تكتبُ من تلقاءِ نفسِها على دفتر من دفاتر المدرسة: "الخيالُ لا يرحل، إنه يسكنُ قلبك".

ابتســـــمَ كريم.. رأى وجوه أصدقائه من حوله وهم يضحكون كأنهم سمعوا العبارة أيضًا، فعرف أنَّ «عالم العجائب» لم يكن بعيدًا كما يظن.

في تلك الليلة.. حين أطفـــــأ كريم مصباحَ غرفته وجلسَ قرب النافذة يتأمَّلُ السماء، رأى نجمة قريبة تشعُّ في الفضاء بشعاعٍ ساحر.. لكنَّها لم تنادِه للسَّفر، بل ظلتْ مشعشعةً فوق بيته، كأنَّها تحيطه بهالة من نور دافئ.. عندها أدركَ أنَّ الأمان ليـــــسَ في الرحلة وحدها، بل في عودتِه منها حاملًا ما تعلمه من أمل وشجاعة ومرح..

وقبل أنْ ينام حملَ ريشته المتوهجة وكتب: "الضحكُ يفتحُ كلَّ باب، والأملُ يضيء كل عتمة.. في «عالم العجائب» تعلمتُ أنَّ الإعاقة ليستْ في الجسد، بل في الاستسلام.. وأنَّ الأملَ مع العملِ يجمعُ فريقًا لا يَفترق، ويصنعُ مجدًا لا ينصدع، ويقطع طريقًا لا ينطرق".

تأمَّل ما كتبه بعناية بالغة.. ثمَّ قال: "لـــــمْ ولنْ أمتنعَ عنِ الحلم والضحك يومًا، فالضحكُ دواء، والحلم شفاء.. والعجزُ الحقيقي ليس في الجسد، بل في الامتناع عنِ المحاولة".

أغلقَ الدفترَ ووضعه بجوار وسادته، ثمَّ غفا مطمئنًّا، كأنَّ الكون كله يضحكُ ويحلمُ معه.. ومن ذلك اليوم لم يعد كريم مجرَّد فتى عادي على كرسي متحرّك، بل أصبح راويًا وفنانًا يعبر عن إحساسه بالريشة المتوهجة.. يفتح بقصصِه ولوحاتِه للعالم أبوابَ المتعة والمرح والجمال والخيال.. فكلُّ حكايةٍ يرويها، وكلُّ لوحةٍ يرســـــمها، تصبح مهرجانًا صغيرًا يذكِّر الجميع بأنَّ الحياةَ مهما ضاقت فإنها تسعُ ضحكاتِ العالم وأحلام الدنيا معًا....

النهاية

طبعة خاصة
بالجمعية الكويتية لرعاية المعوقين
(الكويت 2025)

رواية تمزج الواقع بالخيال، نرافق فيها طفلًا كبّلته إعاقة الجسد، لكنه تحرّر بريشة وأحلام.. من مكتبة جدِّه تبدأ المغامرة، باب صغير يقوده إلى عالم عجيب، يكتشف أنَّ الضحك سلاح، وأن الشجاعة لا تعني غياب الخوف، بل المضي قدمًا رغم حضوره.. إنها رحلة بين الألغاز والمرايا، بين الحكمة والمقالب والدهشة.. إنها رواية تحتفي بالإنسان كما هو، وتؤكد أن الإعاقة الحقيقية هي أن نعجز عن الحلم.